

د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي

العلمانية والتنوير
العصرانية
والحداثة والعالمانية

العصرانية في حياتنا الاجتماعية

محمد عيد

دار المسلم
١٠٤

© دار المسلم للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ

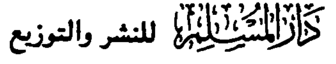
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

الزنيدي ، عبدالرحمن بن زيد
العصرانية في حياتنا الاجتماعية
... ص ؛ ... سم
ردمك ٣-٤١ -٧٤٨- ٩٩٦٠.
١ -الاسلام والمسيحية ٢ - الاسلام - دفع مطاعن
أ - العنوان

ديوي ٢٧ , ٢١٤ ١٥/٠٥٨٢

رقم الإيداع : ١٥/٠٥٨٢
ردمك ٣-٤١ -٧٤٨- ٩٩٦٠.

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م



الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب ١٧٣٥٦ - هاتف : ٤٠٥٤٠٥٩/٤٩٣١١٤٩

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله محمد ، وعلىٰ آله وصحبه .

وبعد :

فقد كان المسلمون ــ في عصورهم المتأخرة ــ أمةً واحدةً ، يجمعها التعلق بكتاب واحد هو القرآن الكريم ، لا يداني قداستَه شيء ، يسوقها هذا الكتاب إلىٰ تعاليم هادية ، هي : السنة النبوية ، التي لا يماري في عظمتها وحُجِّيتها ـ إجمالاً ـ أحدٌ منهم .

ويعم هذه الأمة إلا القليل جهلُ بدينها الذي تعظم كتابَه ونبيَّه وتفريطٌ في الالتزام به ، ومراوحةٌ بين العودة إليه ، وعياً بضرورة الرجوع إلىٰ منهاجه ، من خلال محاولات الإصلاح والتجديد في تلك العصور ، وبين التفلت من إتباعاً للشهوات ، وركوناً إلىٰ الدنيا ، وتلاعباً من قبل علماء السوء .

ولكن الأمر تغيَّر في العصور الأخيرة حينما اتصلتْ هذه الأمة بأمة أخرىٰ ذات نمط حضاري مغاير ومؤثر ، فرض علىٰ من اتصل به من هذه الأمة المسلمة توجها وحركة جديدة في الحياة تغاير ما استمرأته أمتهم قبل ذلك .

حتىٰ أصبح هؤلاء المتأثرون بفكرهم وسَمتهم أمةً داخل هذه الأمة ، أي : أنه أصبح في داخل البيئة الإسلامية نمطان من الحياة مختلفان توجُّهاً وحركة ، وأهدافاً .

وتفاعلت الحالة في هذه الأمة بين هذين النمطين :

الموروث الراكد ، والغريب الوافد .

ولقد كان حال الأمة السابق مرضاً ، ولكنَّ النمط الحق الوافدأشد مرضاً ، وأسوأ عاقبة

لأن السابق ـ جهلاً وتفريطاً وانحطاط همة ـ كان عرضاً ناتجاً عن فَقْد التوجيه السليم مع بقاء الفطرة سليمة ، وقابلية الانطلاق متوفرة .

أما اللاحق الذي تمثَّل في ولاء لغير الله ، وحب لغير هذه الأمة ، وتعلقٍ بغير دينها ، فإنه وباء مدمر للفطرة ، مفسد لقابلية الحياة الصحيحة ، يوشك أن يكون قاتلاً لإنسانية المسلم .

وقد ظل المسلمون يقاومون آثار التردي الفكري والسلوكي الذي عمّ في العصور المتأخرة فترة من الزمن ، ولما يبلغوا الشأوَ المطلوب ، وهم لمقاومة المرض الوافد ، وما خلَّف من تشوهات بحاجة إلى جهود أوفر ، وتركيز أكبر .

إنه لكي تصح نهضتهم التي يتوفَّزون لها الآن ، والتي تطمح الصحوة الإسلامية إلى أن تكون فيها الإمام الموجِّة ، لابد من تقويم سليم وَجَرْدٍ مركَّز لحالة التردي التي رسَّختها ـ في المجتمعات المسلمة ـ تلك التوجيهاتُ الوافدة التي سارت بالمسلمين في غير الطريق الصحيح فترةً طويلة من الزمن ، حتى تعمَّق ترديهم ، وحاق بهم تيه كبير ، ولابد أن يكون هذا التقويم شاملاً ، وعميقاً ، ومتواصلاً ، من أجل أن يواكب خطورة هذا التردي .

هناك من يرى أنه آن لنا أن نتجاوز محاربة التخلف والفساد ، مقاومة

عناصر الهدم في المجتمع الإسلامي بناءً على أن الصحوة بِمدِّها المتكاثف قد اكتسحت كل ذلك وأنها تتطلع للبناء

ومع إيجابية هذه المشاعر وشبابيتها المتوقدة ، إلا أنه من الخطورة بمكان الانسياق العاطفي معها ، وتجاوز مرحلة تهيئة الأرض ، وإثبات صلاحيتها للبناء عليها .

مع إمكانية الجمع بين البناء على القدر الكافي من الصلاحية ، ومزاولة عملية الفحص والتطهير اللازمة للأساس .

إن الصحوة الإسلامية رمز النهضة المرتقبة لهذه الأمة رغم توسعها ، واستقطابها الكبير لكافة أصناف الناس ، والتحسن المتزايد في داخلها ، ينبغي أن تعي أنها تسعى للارتقاء بأمة قد أنهكت أديمَها ضربات النظم الفاسدة ، والأفكار المنحرفة ، والاستغلال البشع من أعداء حاقدين ، وأبناء مخدوعين .

وهذه الدراسة القصيرة تستهدف التركيز على زاوية خطرة من زوايا هذا الموضوع ، موضوع التيار الفكري الذي وفد على الأمة المسلمة واستهدف عزل المسلم عن الوحي الإلهي ، وصرفه عنه ، وربطه بالفكر المهيمن في هذا العصر البعيد عن هدي الله .

وهو التيار الذي تعددت أسماؤه ، علمانيًا وتنويريًا وحداثيًا .

فضلاً عمّا تقمَّطَه من فلسفات ، وضعية ، ووجودية ويسارية وغيرها .

هذه الزاوية الخطيرة من زوايا هذا التيار ـ الذي آثرت من أسمائه اسم (العصرانية) بحكم شمول هذا الاسم لمدارسه المتنوعة ، وصدقه على

حقيقة هذا التيار ـ تتمثل في السريان العصراني في الحياة الاجتماعية والفردية للمسلمين .

إذ الدراسات الكثيرة لهذا التيار تتجه ـ غالباً ـ إلى أصول فلسفاته وكشف الوجوه البارزة لدعاته، ومناقشة الأطروحات الفكرية لمنظريه ، ونحو ذلك من القضايا الفكرية .

ومن ثم تبقى تلك الزاوية جديرة بالاتجاه لدراستها لسبر آثار هذا التيار في جوانب حياة كثير من المسلمين، التي انفعلت بإيحاءاته، فأصابتها لوثاته، وإن كان عامةُ هؤلاء لا يعون فلسفات هذا التيار، ولا طروحاته، ولو عرفوها لكفروا بها ، وأعلنوا براءهم من أهلها .

ومجتمعات المسلمين متفاوتة في تأثرها بهذا التيار سعةً ، وعمقاً ، والكاتب مربوط ـ غالباً ـ بواقعه الذي يعيش في ظلاله ، فلا تثريب عليه إن انعكس ذلك على ما يكتبه ، فلم يأت شاملاً ، ولا مستوعباً .

وهذا البحث الذي بين يديك يعرفك بالعصرانية في دائرة الظروف الواقعية ، وفي ضوء الإسلام، لذا فإنه يتركز في مسائل أربع :

الأولى : في مفهوم العصرانية ، وطبيعة البيئة التي ولدت فيها ، و تطورها في بيئتها الغربية .

الثانية : مشكلة العصرانية في العالم الإسلامي من حيث انتقالها إليه من الغرب ، وحال الأمة أمام هجمتها، ثم مواجهة الصحوة الإسلامية لها، وأخيراً رصد لبعض مظاهر العصرانية في حياة المسلمين الاجتماعية .

الثالثة : العصرانية والإسلام .

تمثلات العصرانية وإدراجها في إطار مصطلح شرعي ، ثم ما بين العصرانية والعصرية ، وبيان الموقف المطلوب اتخاذه تجاه العصرانية في هذه الآونة .

الرابعة : المجتمع السعودي والعصرانية :

بعض خصائص المجتمع السعودي التي كان لها أثر على تفاعله مع العصرانية الوافدة ، وحال هذا المجتمع تجاه العصرانية .

آمل أن يكون فيه مايفيد المطلع عليه .

والله الموفق ، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

العصـــرانية
منبتـــاً ومعنـــى ونشـــأة

الألفاظ التي تطلق على التيارات الوافدة ، مثل :

عصرانية ، علمانية ، تنويرية، وحداثة .

ومثلها ـ أيضاً ـ ماولد من رحِمِها من اتجاهات : يسارية، ووضعية، ووجودية، وذرائعية، وغيرها من فلسفات ـ هذه الألفاظ ـ ، وضعت تعريباً لألفاظ غربية تحمل معاني قائمة في الفكر الأوربي ، قد تختلف الألفاظ أو تتفق بين اللغات الأوربية، وقد تعرَّب اللفظة الغربية ببدائل من الألفاظ ، لابلفظ واحد .

العصرانية ، ومثلها : الحداثة تعريب للفظة Modernism أو Secularism ، والعلمانية ، تعريب للفظة Secularism ـ السابقة .

والتنوير ، تعريب للفظة Enltghtement أو Tllumtnation

وهذه الألفاظ الإنجليزية تعني وراء دلالتها اللغوية المجردة مفاهيم فكرية تكونت في ضوء ظروف ثقافية أوربية خاصة .

ومن هنا : فلابد لمعرفة حقيقة التيار الوافد من الرجوع إلى الأساس الذي ينزع إليه في دائرة الثقافة الغربية .

لذا فمن أجل معرفة العصرانية سندع هذه الألفاظ ، ونتجه إلى منبتها ـ أوروبا ـ لنُطِلّ عليها وهو تتلوَّىٰ على جنبيها تحت تقلبات القرون المتطاولة حتى برزت منها تلك التيارات بروز الأورام في الجسد المختل ، لتنتقل كالعدوي إلينا بعد ذلك .

أوربا الوثنية ـ قديماً :

كانت أوروبا وثنية عمادها الأساطير التي تهيمن على تصورات العامة وأفكار الفلاسفة حول الوجود والألوهية والكون والإنسان .

وقد امتازت حضارة اليونان بشدة الاعتداد بالحياة الدنيا ، والتهالك على منافعها ، ولذائذها ، والاستهتار بالدين ، وقلة التقدير لما وراء المحسوس ، وانطلاق الحرية الشخصية دون قيد ، والولع الزائد بالفنون تمثيلاً ونحتاً وموسيقى وغناء .

ثم حَكَمَ الرومان اليونان ، ولم يكن لدى الرومان فكر وفلسفة ، وإن امتازوا بالقوة ، وصفات الجندية ، لذلك غلبت عليهم المدنية اليونانية ، فاستخفوا بالدين ، وتهالكوا على اللذات ، وقدَّسوا القوة ، والاستغلال ، وكانوا رغم وجود المعابد وتعبدهم فيها ـ أحياناً ـ بالرقص والغناء والألعاب ـ التي كانت طريقة اليونان في عبادتهم أيضاً ـ لا بالتذلل والخشوع والتضرع ـ كانوا رغم ذلك ـ يرفضون تدخل الآلهة وممثليها من رجال الدين في شئون حياتهم ونظامها . (وكان ـ كما يقول سيسرو ـ الممثلون يُنشِدون في دور التمثيل أبياتاً معناها أن الآلهة لا دخل لها في أمور الدنيا ، فيصغي إليها الناس ويسمعونها بكل رغبة) (١) .

وهكذا صارت تقوم حياتهم المعاشية بعيداً عن دينهم ، تابعة للأمزجة الخاصة ، ولقوانين الدولة الرومانية ونظمها .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين أبو الحسن الندوي ص : ١٦٣ .

النصرانية في أوروبا :

دخلت النصرانية إلىٰ أوروبا من خلال بعض دعاتها، ومالت إليها قلوب بعض الناس ـ خاصة العامة ـ وإن كان آخرون قد استنكفوا أن يقبلوا ما فيها من تصورات تكدِّر صفو ماديتهم المفرطة، فقد ذُكِر أن جماعة من الفيثاغوريين دعوا أحد دعاة النصرانية إلىٰ مجمعهم ليحدثهم عن هذا الدين، فلمّا حدثهم عن اليوم الآخر، وما فيه من بعث وحشر .. سخروا من حديثه ودينه (١) .

وحينما تولىٰ الملك قسطنطين الذي اعتنق النصرانية في مستهل القرن الرابع الميلادي نَصَرَ هذه الديانة، وجعل كلمتها عالية، وسخَّر حكمه لنشر النصرانية، ولكن أي نصرانية هذه ؟

إن النصرانية التي دخلت أوروبا علىٰ يد (بولس ـ رسول الأمم) ليست هي النصرانية التي دعا إليها المسيح ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد أفسد فيها هذا اليهودي الذي كان يحاربها، ثم انقلب داعية إليها، وانحرف بها عن مسارها التوحيدي الخالص (٢) .

وأمر آخر، وهو : أن عداء اليهود للمسيح وأتباعه وتعاليمه والنفرة التي حصلت بين هؤلاء الأتباع واليهود جعلت النصرانية تتجرد من

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ـ يوسف كرم، ص ٢٥٣ .

(٢) انظر في تقرير هذا التغيير الذي أحدثه (بولس) في النصرانية كتاب المسيحية نشأتها وتطورها ـ شارل جنيبر ترجمة د . عبدالحليم محمود المطبعة العصرية بيروت ص ١٠٤ـ٩٢) انظر عددا من النقول عن أساتذة نصارىٰ مثل ويدي، وبري الذي يقول (إن بولس هو في الحقيقة مؤسس المسيحية بل واعترف الفاتيكان بهذا) ـ المسيحية ـ أحمد شلبي ص ١١١ ـ ١٣٠ الطبعة التاسعة ١٩٩٠ م .

التشريعات العملية التي أوصىٰ المسيح ـ عليه الصلاة والسلام ـ بتلقيها من توراة موسىٰ ـ عليه الصلاة والسلام .

بهذه الصورة دخلت النصرانية بلاد أوروبا ، ولهذا اكتفىٰ رجال النصرانية حينما رفعهم قسطنطين ، وتبنىٰ ديانتهم بإنشاء الكنائس ، وتتويج الملوك ، ودعم شريعة هؤلاء الملوك القائمة علىٰ التشريعات الرومانية السابقة .

بل إن الأوضاع في تلك البلاد أثَّرتْ كثيراً علىٰ النصرانية ، حيث انحرفت نحو وثنية الرومان ، و شحنت كتبها بالأساطير اليونانية ، ولعل أكبر ماسخ لهذه الديانة هو الأمبراطور قسطنطين نفسه رافع لواء النصرانية (١) .

وعلىٰ مر العصور صارت تزداد هيمنة رجال الدين النصراني علىٰ الحياة في أوروبا رافضين أي مشارك لهم في هذا الشأن ، خاصة في مجال العلوم والطب ونحوه فساد الجهل ، والخرافة ، والانحطاط .

ومن أكبر جرائم رجال الدين ـ هؤلاء ـ أنهم لكي يسدوا الباب علىٰ أي متطلع من خارج قنواتهم حشودا في كتبهم المقدسة كثيراً من المعلومات البشرية والمسلمات المعرفية في عصورهم وما قبلها عن الطبيعة والفلك والجغرافيا والتاريخ والأحياء ، وغيرها ، وصبغوها بصبغة الدين ، باعتبارها تفسيرات للوحي المعصوم الذي لايسع النصراني الخروجُ عليه أو القولُ بخلافه ، لأن هذا يعني الكفر ، والزندقة .

---

(١) انظر شارل جنيبر ـ المسيحية نشأتها وتطورها ـ مرجع سابق ص ١٠٤ حيث يذكر تأثير المذاهب والنظريات التي كانت تعمر عقول الناس قبل تلقي المسيحية حيث يدخلون هذه المذاهب والنظريات في المسيحية التي يعتنقونها وكذلك تأثير للفلاسفة .

ولتأكيد هذا المنحىٰ الذي يُفْرِد الكنيسة بحق التعليم وحدها اعتمد رجال الكنيسة نظرية الإشراق الأفلوطينية في المعرفة التي خلاصتها أن المعرفة الصحيحة إلهام إلهي يهبط علىٰ شخص مهيئ لذلك، نتيجة تجرده من الجوانب المادية ، وهذا التهيؤ لم يكن لغير رجال الكنيسة ، وعليه فمنهم وحدهم تُستَمد المعرفة الصحيحة .. أمّا من سواهم فحسب تجردهم من المادة أن يجعل نفوسهم قابلة لتلقي تلك المعرفة ، ومن ثم صدرت مراسم بإغلاق المدارس خارج الكنيسة ، وحصر التدريس في نطاقها .

هذا فضلاً عن أن هذا التجرد المطلوب من علائق الدنيا هو سبيل الفوز في الآخرة .

وكان من نتائج ذلك أن أصبح الدين والتطلع إلىٰ سعادة الآخرة هو المسيطر علىٰ مشاعر الناس ، مع الاستهانة بالدنيا بصفتها شرًّا عائقاً عن الفلاح الأخروي .

وتحول الإيمان بالله والشعور بعظمته إلىٰ سلبية إنسانية ، وعدم تغيير للواقع ، لأن ذلك يعني عدم التسليم بالقضاء والقدر (١) .

أوروبا النهضة :

في أواخر ما يسمىٰ بعصور الظلام في أوروبا ، احتك الغرب بالمسلمين في عصور الزخم الثقافي لديهم من خلال الحروب الصليبية والدخول إلىٰ المسلمين في الأندلس، ورأوا سموًّا في أخلاق المسلمين، وقوة في عقيدتهم ، وسعةً في أفقهم العلمي ، ورقيًا في مدنيتهم ،

---

(١) انظر تحليلا نقديًا لمسيرة أوروبا ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين مرجع سابق ص : ١٥٦ .

فأورثهم ذلك غَيْرةً من هؤلاء الأعداء وحسداً في أنفسهم لهم ، واهتم بعضهم بنقل شيء ممّا عند المسلمين ممّا يتصورون أن به ارتقاء بأحوالهم الفكرية ، والمدنية .

وكان تركيزهم على كتب الفلسفة من جانب . وكتب العلوم الرياضية والتطبيقية من جانب آخر (١) .

ولعل السبب في ذلك : أن الفلسفة تتناسب مع طبيعة فكرهم التأملي ، وأن العلوم الرياضية ، والتطبيقية من السهل تجريدها من الدين الذي نشأت في ظله وهو الإسلام ، هو : الدين الذي ينفر منه الغربي بحكم الصورة المشوهة له عنده .

وكان من أثر هذا الاحتكاك أن بدأت دعوات خافتة ، ثم جهرية ـ متفرقة ، ثم مجتمعة ـ إلى حركة فكرية يفتح فيها الباب لذوي الطموح العلمي ، كي يتنافسوا في مجالات المعرفة ليرسموا للغرب طرق حياة أفضل .

وهذا ما يعني أن ينطلق الفكر الغربي من إطار الكنيسة ، أي : أن يتحرر منها .

وكان مما تنادي به هذه الدعوات : أن هناك حقائق يمكن أن يصل إليها الإنسان بعقله ، كما أن هناك حقائق مصدرها الدين .

---

(١) لم يكن النقل مقتصراً على كتب الفلسفة والعلوم التطبيقية والرياضة فقد ترجمت النصوص الشرعية ـ القرآن والسنة وسيرة الرسول ترجمات مشوهة حتى عد الدكتور قاسم السامرائي هذا القرآن المترجم (قرآنا جديداً مصنوعاً في الغرب) وكان الهدف من هذه الترجمات تشويه الإسلام أمام الأوروبيين أما كتب الفلسفة والعلوم الطبيعية التي ترجمت لتدرس فكان المقصود منهجها العقلي المتحرر واستثمار طرائقها البحثية التجريبية انظر ـ قاسم السامرائي : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ص ٣٥٤٦ ط.١/ ١٣٠٤ هـ .

ولكن رجال الكنيسة رفضوا هذه الدعوات ، وحرمت كتب الفكر الخارجة عن دائرة الكنيسة ، ومنع تدريسها ، وحورب مؤلفوها ، خاصة منهم الذين أعلنوا بعض النظريات الفلكية ، أو الجغرافية المخالفة لما قررته الكنيسة في كتبها ممّا استقته من كتب الفلكيين والجغرافيين القدماء .

وكان هذا الرفض للعلم ، والحرب لرجاله من قبل رجال الكنيسة ، ممّا أثار ثائرة رجال الفكر ، فاشتدوا في وجهتهم مراغمين الكنيسة ورجالها ، ثم تراجعت الكنيسة بعد اشتداد الاتجاه المقابل ، حتىٰ اعترف بعض رجال الكنيسة ، مثل (روجربيكون ١٢٩٢م) (١) بأن سلطان الكنيسة يقتصر علىٰ العلوم الدينية المتعلقة بالآخرة ... أمّا العلوم الدنيوية المتعلقة بمصالح الإنسان في هذه الحياة فمناطها الفكر البشري .

وهكذا توزَّع حياة الإنسان مصدران ، هما : الدين ، والفكر البشري ، وإذا كان الدين يتمثل في تعاليم ثابتة ، فإن الفكر البشري متطور متغير .

الإنسان وعصرانيته :

هذا التغير المتجدد في فكر الإنسان وحركته جارٍ في إطار الزمن ، ومن هنا كان لكل فكرٍ بشري في كل عصر مستوىٰ معين ، وخصائص مميزة عن سابقه ، فإذا نادىٰ الواقفون تجاه أتباع الدين الداعين إلىٰ اعتماد

---

(١) روجر بيكون هذا يعتبر من ناقلي التراث الإسلامي إلىٰ أوروبا ، فقد ترجم كتباً من العربية ، ويعتبر من المشجعين الأوائل علىٰ تعلم اللغات الشرقية ، والعربية بالذات . انظر تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ـ يوسف كرم ١٥٤ وانظر كذلك : المستشرقون ـ نجيب العقيقي (١/ ١٢٠) .

الوحي الإلـهي إلىٰ اتباع الفكر ـ كما يسمىٰ في عصرنا ـ أو العقل ـ كما في العصر العباسي ـ فإنما ينادون إلىٰ اتباع فكر معين هو الذي يسود عصرَهم (١) .

ولهذا كانوا يستغنون ـ أحياناً ـ عن ذكر الفكر ، داعين إلىٰ مجاراة العصر والتمشي معه .

وهكذا صار هناك دين له علمه ورجاله ، وواقع له فكره ورجاله .

ولكن الوضع لم يبق علىٰ هذا التقسيم .

لقد تدخَّل الفكر في دين الكنيسة فبحث فيه ـ أي : بحث في كتبه المقدسة ـ كما فعل (أبيلارد ت ١١٤٢م) رغم أنه كان من رجال الكنيسة في كتاب له عنوانه (نعم ولا) أثبت فيه تناقضات الكتاب المقدس ، والتحريف الذي جرىٰ له (٢) .

واستمر هذا النقد يُوهِي من قيمة كتب الدين ووثاقة تعاليمها ، حتىٰ فقدتْ أي قيمة علمية وأصبح العلم محصوراً فيما يصدر عن الفكر البشري معالجاً الواقع ، فقيل : العلم ، والدين ، علىٰ أنهما متقابلان .

بل جُعِل من الموضوعية التي تضفي علىٰ الفكر قيمة علمية تَحَرُّرُ الباحث من مشاعره الدينية ، وعقائده ، سوىٰ ما اعترف به العلم التجريبي منها .

ولعل هذه الصورة من العصرانية هي ما يرمي إليه من سماها بالعلمانية قاصداً نسبة هذا التيار إلىٰ العلم .

---

(١) الفلاسفة والمعتزلة الداعون إلىٰ العقلانية في الدراسات العقدية ، إنما كانوا يدعون إلىٰ نسق معين تمثل بالفلسفة العقلية الوافدة عليهم من فلاسفة اليونان ومن تأثر بهم .

(٢) انظر : (العصرانية) السيد الشاهد ـ مجلة التوباد ، محرم ١٤١٠هـ ص : ١٤٩ .

ولكنها لم تبق في نطاق العلم ، والمعارف التجريبية ، فقامت الدعوات التي تنادي بفصل السياسة عن الدين الكنسي لتكون ميسرة بحسب المطالب التي يقتضيها العصر ، فصارمايسمىٰ بالسلطة الزمنية في مقابل السلطة الروحية والدينية، وتوالت النظريات السياسية التي تنتزع السلطة من يد رجال الدين الكنسي لتضعها في يد رجال السياسة حيث تكون السيادة التشريعية والرقابة علىٰ التنفيذ متداولة بين البشر بعيداً عن الله وعن الدين والتعاليم المنسوبة إليه ، ولعل من أشهر هذه النظريات ـ الميكافيلية، والعقد الاجتماعي (١) .

ومثل عصرانية السياسة عصرانيات الأخلاق ، والاقتصاد ، والاجتماع، بل والعصرانية الدينية التي اشتهرت أكثر من غيرها باسم العصرانية ، وقد تمثلت في حركات لدىٰ يهود ونصارىٰ تحاول تحوير مبادئ الدين الذي تنتسب إليه إلىٰ ما يتواءم مع العصر الحاضر ـ بالنسبة لهم ـ بفلسفاته وقوانينه الفكرية والتطبيقية .

فالحركة اليهودية الإصلاحية تتمثل أبرز مبادئها التي وضعتها عام ١٨٨٦م في رفض كل ما لايتلاءم مع أفكار الحضارة العصرية وقيمها ، ومن ذلك عقيدة الآخرة والثواب والعقاب .

ومثل ذلك عند النصارىٰ الذين ركزوا علىٰ رفض الخوارق والغيبيات، وعلىٰ ضرورة تطوير تعاليم الدين وفق تقدم المعرفة (٢) .

---

(١) انظر في هذا فصل « علمانية الحكم » من كتاب العلمانية ـ د. سفر الحوالي ص ٢٠٩ .

(٢) من أبرز هؤلاء الراهب لويزي في دراسة له للأناجيل ، وجورج تيريل في كتابه (برنامج العصرانية) . انظر هذه المسالة بتوسع في : مفهوم تجديدالدين بسطامي سعيد ، ص : ١٠٨ .

هناك ـ أيضاً ـ ما يمكن تسميته بعصرانية المشاعر التي تتمثل باتجاه يسعىٰ إلىٰ صرف مشاعر الحب والولاء والإعجاب والاهتمام عن الدين وعقائده إلىٰ العلم المادي وتطبيقاته .

وأساس هذا ـ لديهم ـ أن العلم البشري في هذه الأعصر حقق نتائج متقدمة في مجال الحياة المادية ، أمّا الدين ـ الدين الكنسي أساساً ـ فإنه رغم عدم بطلان بعض أسسه الكبرىٰ ، كوجود الله ، وخلود النفس .... إلا أنه لا يستحق الاهتمام المصروف له ، لِمَا أثبت العلم من تهافت كثير من دعاويه حسب نقد الفكر التجريبي له .

لذا حَسْبُه من الإنسان انجذاب وقتي محدود ، ليكنْ بعضاً من يوم في الأسبوع (١) .

أما الاهتمام الأكبر فينبغي أن يوجَّه إلىٰ تحسين وضع الإنسان المادي والاجتماعي في حياته هذه ، التي يعيشها بين الولادة ، والوفاة ، وينبغي أن ينحسر من ثَمّ تفكيره بالآخرة والجنة والنار ، حتىٰ لا يؤثر علىٰ اندفاعه في حياته ، وتمتعه بها ، مطلقاً من كل قيد ، إلا الضوابط القانونية ـ العصرانية ـ التي وضعت بعيداً عن الدين لتضمن الاندفاع المتسق للجميع في دوامة هذه الدنيا .

هذه العصرانية ـ المشاعرية ـ هي التي دعت إليها الحركة الاجتماعية المشهورة باسم (سيكولورزم) التي ترجمت إلىٰ العلمانية .

---

(١) يصور أحد الغربيين حالتهم مع الدين قائلا : إننا نعبد الدولار طيلة أيام الأسبوع ، معبدنا البنك إليه تهفو نفوسنا وله يتجه سعينا ، ولكننا مع ذلك نعبد الله متجهين إلىٰ الكنيسة جزءاً من يوم الأحد ! .

تناقض الغرب في موقفه من الدين :

انتهينا مع الأروبيين في موقفهم تجاه دين الكنيسة وتعاليمه ورجاله إلىٰ أنهم أدركوا أنه يمثل عبئاً علىٰ كواهلهم يعوق حركتهم، ويحد انطلاقتهم، ويقف أمام نجاحهم في الحياة ، ويشغلهم عن تطلب مصالحهم بأنفسهم بقضايا مملّة تنفر منها النفس، وتشك في صحتها .

ثم كان سعيهم في حصر سلطانه عن حياتهم .

ولكن الإنسان متدين بغريزته، والغربي الذي عاش قروناً طويلة في ظل دين يربطه بعالمٍ وراء هذا العالم المشهود ، ليس من السهل عليه أن يبقىٰ تائهاً لا وجْهة له في الحياة ـ في شأن التصور خاصة ـ . بين هاتين الحالتين :

ـ الشعور بعدم الاستغناء عن الدين بصفته مطلباً روحيًا وضرورة فكرية ، إيماناً بوجود الله ، وخلود النفس، والتطلع وراء هذا العالم المحصور المحدود .

ـ والنفرة من دين الكنيسة حنقاً عليه نتيجة الويلات التي حاقت به بسبب هذا الدين، ومعرفة تهافت كثير من دعاوىٰ رجاله باسم الدين .

ـ بينهما ـ طفق أناس يقترحون أدياناً بديلة :

ـ قال بعضهم : إن النصرانية حق في بعض أصولها ، كوجود الله وخلود النفس، وقيام حياة أخرىٰ، لكنها غير ذلك ـ خاصة ـ فيما يتعلق بالواقع وإن نسب إلىٰ الوحي ، فينبغي أن يُتدين بها في الحق دون ما سواه .

ـ وسعىٰ آخرون إلىٰ استحداث دين يستند إلىٰ الفطرة سموه الدين الطبيعي مثل : (يوهان ، وتورالبا) .

ـ وآخرون قالوا بالدين الإنساني القائم على القيم الإنسانية المشتركة التي تقف وراء مظاهر التباين المذهبية التي يتفرق بها الناس .

ـ وهناك من دعا إلى دين الربوبية الذي يقارب التصور الأرسطي لوجود الله (١) .

وهكذا فرغم افتتانهم بالعلم والفكر الجديد وأخذهم به ، بقي الدين في نفوسهم، بل بقيت ـ كما يقول أميل باتروا : « في خفايا ضمائرهم قوتان متقابلتان حاولوا أن يقيموا بينهما سلاماً ، بحيث يكون موقعُ العلم والفكر متجهاً نحو الطبيعة ، وموقعُ الدين القلبَ والعاطفة متجهاً نحو الدار الآخرة حسب تنظيم ديكارت للعلاقة بينهما » (٢) .

لذا كان أغلب العصرانيين في فكرهم وأدبهم ونظمهم مهتمين بدينهم النصراني في حياتهم العملية، حيث يجعلون له نصيباً من الوقت ، وإن كان ضئيلاً .

ومن ثم بقيت النصرانية الهوية المميزة للأروبيين ، والعمق الوجداني الذي تبرز متأثرة به رؤاهم وفنونهم واتجاهاتهم، وهذا ما يعبر عنه الناقد المشهور ؟ (ت . س . إليوت) في قوله : « في المسيحية نمت فنوننا وفي المسيحية تأصلت ـ إلى عهد قريب ـ قوانين أوروبا ، وليس لتفكيرنا كله معنى ، أو دلالة خارج الإطار المسيحي، وقد لا يؤمن فرد أوروبي بأن العقيدة المسيحية صحيحة ،ولكن كل ما يقوله ، ويفعله يأتيه من تراثه في الثقافة المسيحية ، ويعتمد في معناه على تلك الثقافة .

---

(١) انظر : عصر الإلحاد محمد تقي الأميني ص : ٦٤ ، والإسلام والحضارة الغربية ـ محمد محمد حسين ، ص : ١٨٥ .

(٢) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ـ أميل باتروا ، ص : ١٩ .

ويقول بعد ذلك ـ إذا ذهبت المسيحية فستذهب كل ثقافتنا » (١) .

بل إن نيتشه اعتبر الشيوعية امتداداً لثقافة أوروبا المسيحية ، لأنها أزمة في هذه الثقافة ، أو حسب تعبيره الابْنَة غير الشرعية للحضارة المسيحية ، وأنها ستعود للانتماء لهذه الحضارة يوماً ما ـ المصدر نفسه ـ هذا فضلاً عن التوظيف السياسي والثقافي للدين الكنسي في فرض هيمنة الحضارة الأوروبية على الشعوب الأخرى من خلال الغزو التنصيري الرهيب (٢) .

وهذا الموقف الذي يبدو فيه الاضطراب تجاه الدين قبولاً ورفضاً ، تشبثاً ونفوراً منطقيٌ ـ من وجهة نظري ـ وإن غابت عن كثير منهم منطقيته ، لأن الدين الكنسي لديهم يحمل حقًّا وباطلاً :

ـ **حقا** يبرد ولو شيئاً قليلاً من ظمأ الفطرة الإنسانية الذي تزيده المذاهب المادية والإلحادية عطشاً وغليلاً (٣) .

---

(١) في الفكر والثقافة الإسلامية ـ عدنان زرزور ص ٣١، ٣٢ .

(٢) وفي هذا الإطار لم يجد الرئيس الأمريكي (جورج بوش) في حملته الانتخابية لعام ١٩٩٢م حرجاً من تمجيد الدين والدعوة إلى التمسك به ، واعتبار الإيمان هو سر عظمة أمريكا ، وأن رئيس أمريكا لابد أن يكون مؤمناً ، مع أن أمريكا دولة عصرانية ـ تجعل الشعب مصدر السلطات والتشريع وتنظم قوانينها على أساس الدراسات العلمية والواقع الاجتماعي بعيداً عن الدين الممجد . (انظر : مجلة اليقظة ـ شوال ١٤١٢ هـ ـ ص : ٨٢ .) .

(٣) ولعل هذا من أسباب كون النصارى أكثر تجاوباً مع الدعوة الإسلامية وأسرع دخولا في الإسلام من الوثنيين والملحدين ؛ لأن عناصر الحق من دينهم تمثل خطوة نحو الإسلام .

وقد صور ما ذكرناه «يوسف إسلام البريطاني» في قصة إسلامه ، حيث إنه لم تسترح فطرته للمسيحية ، فتعلق ببعض الديانات الصينية ، ثم بالماركسية ، ولكنه عاد إلى النصرانية مرة ثانية ، لأنها أهون قسوة على النفس من تلك ، حتى اهتدى إلى الإسلام أخيراً ، فاستقر بفطرته المقام . انظر : المجلة العربية ـ رمضان ، ١٤٠٦ هـ .

ـ **وباطلا** تنفر منه الفطرة، ويصطدم بالعقل والواقع ، ومن ثم يحدث انفصاماً بين عقل الإنسان وإيمانه بهذا الدين (١) .

هذا فضلاً عن النقص في الكتاب المقدس فيما يتعلق بالتشريعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية سوىٰ تحكمات كلية وضعها رجال الكنيسة لإحكام قبضتهم علىٰ الحياة والأحياء في أوروبا ـ في عهد الكنيسة ، لذا كان لابد لهم من الحركة خارج الدين لتقوم حياتهم وترتقي .

لعله يقال هنا : الإلحاد المطلق بالدين كما تمثل بالماركسية والوضعية ونحوها ألا تعتبر عصرانية ؟ إذ أن سير الحديث انتهىٰ بنا ـ أو كاد ـ إلىٰ أن العصرانية دون الإلحاد .

والجواب : هو أن التيارات العصرانية ـ أساساً ـ لم تكن رافضة للدين بالكلية، كتيارات الإلحاد ، وإنما كانت تزاحم الدين بالواقع ، مستهدفة تطويع الدين للواقع ، أي : إبقاء الدين ولكن بعد تلقيحه بطعم العصر القائم تلقيحاً يكيِّفه وفق متطلبات الواقع (٢) .

---

(١) انظر مثلا لهذا التأرجح في مجال الدين لدىٰ العالم (رينيه دوبو) الحائز علىٰ جائزة نوبل للعلوم في كتاب أخرجه عام ١٩٧٠م ـ وهو : إنسانية الإنسان ـ فهو تحت ضغط الحضارة المادية يتجه ـ ناقلا عن هوايت الابن ـ إلىٰ أن الأمل الوحيد لإنقاذ العالم هو الاتجاه الديني العميق ، لكنه في مكان آخر ينقد المسيحية بما فيها من تفتت وإبهام وفلسفة زائغة ـ انظر : إنسانية الإنسان ـ ترجمة : نبيل الطويل ص : ١٥ .

(٢) ولا شك أن الدين سيتحول إلىٰ مسخ جديد، وإن أبقىٰ له اسم الدين، إذ سيكون شبيهاً برجل طعم بهرمون أنثوي، فوقّ صوته ، وتساقطت لحيته وارتفع صدره، ولكنه أصبح مسخاً لا هو بالأنثىٰ ، ولا بالذكر .

ولكن العصرانية ـ هذه ـ كانت هي الخطوة التي أوصلت إلىٰ الإلحاد، بل المتكأ المنطقي لبعض فلاسفته الذين يرون : أن من الخداع للناس مطالبتهم بالأخذ بدين نكيفه وفق أهوائنا ومعارفنا ، وتحذيرهم من الإلحاد .

إذ ما الفرق ـ هكذا يقول الملحدون ـ بين هذا الدين وفلسفتنا، سوىٰ أن العصرانيين وضعوا فلسفتهم تحت اسم دين له تاريخ ، فكأنهم هدفوا إلىٰ استغلال الشعبية التي يحظىٰ بها الدين لتمرير عصرانيتهم من خلاله .

وبغض النظر عن مقصد العصرانيين الغربيين ـ خاصة القدماء منهم من حركتهم، هل هي خدمة الدين ، أو العداء له ، أو أمربينهما ، فإن الحركة انتهت إلىٰ تضخيم الواقع الحياتي ، وتركيز همَّ الإنسان وجهده في دنياه، بعيداً عن دينه، وخالقه ، وآخرته. وهي النهاية العملية لتيارات الإلحاد (١) .

ومع أنه تواصل مع الحركة العصرانية تقدمٌ في المجال العلمي الكوني، تزيد به شيئاً فشيئاً رفاهية الإنسان الغربي، وهيمنته علىٰ الكون المحيط به .

---

(١) قد يبدأ الناس مسيرة معينة ، مستهدفين هدفاً محدداً ، ولكن النتائج لا تأتي علىٰ مارسموا، وهذا ما نريد قوله عن العصرانية علىٰ افتراض حسن الظن .

ولقد كان ديكارت مؤمناً بوجود الله، محترما للدين، ولأحقية الوحي في الحديث عن عالم الغيب، ولكن فلسفته العلمية انتهت باتباعه إلىٰ الوضعية الملحدة ، وهذا ما ينبغي أن يعيه القادة والمفكرون المسلمون في دفعهم الأمة إلىٰ التفاعل مع العصر، حتىٰ لا ينتهوا بها إلىٰ مواقع لا يرضاها دينهم، ولا تسعد بها أمتهم .

إن نبل المقصد وصدق النيةلايكفي وحده ، إذ لابد معه من سلامة المنهج وانضباط الحركة، وفي نهايات علماء الكلام قديماً ، والعصرانيين في الأمة حديثاً آية للمعتبرين .

إلا أنه أحسّ بخوائه الروحي القاتل، وباهتزاز إنسانيته، أي: اهتزاز قيمته، لذا تلفَّتَ يبحث عن حلول لهذه المعضلة:

* نقداً للإغراق المادي في حضارته القائمة.
* وتأكيداً على بعث الانتعاش في النصرانية لدى الأوروبيين.
* وبحثاً عن وجبات روحية تسد الجوع العارم خارج نطاق أوروبا، خاصة لدى الديانات الشرقية المشهورة باهتمامها بالجانب الروحي.
* وارتخاء في المواقف الإلحادية الرافضة للدين، أو الساخرة به وقد تمثلت مثل هذه المطالب في كتب كتبها مفكرون كبار، وفي حركات شبابية رافضة، وفي تصريحات متناثرة صحفية وإعلامية ناقدة لهذا الشرود عن الله.

معنى العصرانية:

بهذا التتبع - غير الاستقصائي - للمسيرة الفكرية الدينية في أوروبا اتضح مفهوم العصرانية الذي يتحدد بأنها [تحكم الواقع الدنيوي المُعاش وما ينتج عنه، وجعله المقياس للصلاحية وعدمها في حياة الإنسان.

أي: هي التأقلم مع المعطيات الاجتماعية والعلمية المتجددة في كل زمن (عصر) وربط الإنسان في فرديته وجماعيته بها في دائرة التصور البشري].

والعصرانية - بهذا المعنى - تضم في إطارها كلّ التوجهات والتيارات التي ظهرت مناوئة للدين في أي جانب من جوانب الحياة منذ بداية نهضة أوروبا، والتي لا تزال تظهر حتى الآن.

والعلمانية سواء قصد بها أساس الفكرة التي هي ربط الحياة بالعلم

البشري مقابلاً للدين ، أوكانت خداعاً من المترجمين حيث جعلوها بديلاً لحركة صرف اهتمام الناس عن الله ، وما وراء الحياة الدنيا إلىٰ زهرة هذه الحياة وحدها ـ وهي المعروفة بـ : (Secularism) .

سواء قصد هذا أوذاك فهي العصرانية (١) .

ومثل ذلك : سائر الألفاظ التي تبتدع في ظل مسيرة العصرانية ، مثل : التنوير الذي يصف بعض العرب فلسفتهم به ، والحداثة التي شاع استخدامها في الأونة الأخيرة ، كاتجاه فكري عام .

أما التنوير :

فإن اللفظة التي ترجم عنها ، وهي (Enlightenment أو Illumination) تطلق علىٰ الاتجاه الذي يتركز علىٰ المنهج التجريبي بصفته منهج العلم الوحيد مقرًّا ما يقره هذا المنهج كوجود الله مثلاً ، هو : منهج نيوتن ، وجون لوك ، ونحوهما .

ولكنها بعد ذلك صارت تطلق علىٰ الفلسفات التي تحارب العالم الغيبي واصفة إياه بالظلام ، فالتنوير هو : الركون إلىٰ التجربة الحسية مصدراً للمعرفة ، والبقاء في عالم الحس مجالاً .

ولهذا وصف د . زكي نجيب محمود فلسفته الوضعية التي ترىٰ : أن

---

(١) انظر تحليلاً لهذا التيار بين التسميتين (العلمانية والعصرانية) في مقالة العصرانية ـ مجلة التوباد ، ص : ١٤٨ ، عدد عام : ١٤١٠هـ ـ للدكتور السيدالشاهد ، ولعل له الريادة في هذا التحديد .

وانظر ـ بالمقابل ـ مفهوم تجديد الدين ـ بسطامي سعيد ص ٩٥ ، ١١٥ حيث انتهىٰ إلىٰ جعل العصرانية تعريباً للفظة (MODERNISM) وقد رأيت من خلال ما مر أن العصرانية تصدق علىٰ المصطلحين معاً .

كل فكر يتجاوز عالم الطبيعة، غير علمي، بل خرافي (١) . ـ وصفها ـ بأنها تنوير .

ولكنّ ناقداً له وصفها بالمقابل بعد أن كشف عن مصادرات منطقها اللغوي المتيافيزيقية بأنها فلسفة تعمية، لا تنوير (٢) .

أما الحداثة :

تعريب (Modernism أو Modernity) (٣) فهي اتجاه شاع في أوساط متعددة في الأدب والفن في شكل ثورات على الأنماط السائدة، واستحداث أنماط جديدة ـ صاخبة .

وفي نطاق الدين في شكل توجه يهدف إلى تفسير ألفاظ الكتاب المقدس على حسب المفاهيم الفلسفية والعلمية المعاصرة بصورة مفرطة مشابهة للتفسيرات الإشارية عند الصوفية .

والحداثة الآن بمفهومها العام تقابل التقليدية والأصالة معاً، تعني . الانسلاخ من التقليدي في حياة الفرد والمجتمع فكراً ونظماً وعلاقات وأنماط حياة متنوعة، والتحلي بدلاً منها بجديد مغاير .

والجديد بالنسبة للمسلمين ـ غالباً ـ هو مالدى الغرب .

يقول برهان غليون في كتابه (اغتيال العقل) : الحداثة ممارسة يومية .

---

(١) له كتاب عنوانه (خرافة الميتافيزيقيا) أي : خرافة ما وراء الطبيعة ـ الوجود الغيبي .

(٢) الاستاذ عاطف أحمد في كتاب (نقد العقل الوضعي) .

(٣) يفرق د . محمد هدارة بين المصطلحين فيجعل الأول هو الذي يصدق على الحداثة بمفهومها الشامل المذكور ويجعل الثاني مقصوراً على التفاعل مع ظروف العصر دون الانقطاع عن الماضي أي العصرية التي ستأتي في صفحة ٧٤ انظر محاضرة هدارة ـ الحداثة والتراث ص ٧٧ من محاضرات الموسم الثقافي مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لعام ١٤٠٦هـ ـ ٤٨٧ .

هي تغيير في كل الاتجاهات لبُنَى الواقع والفكر العربيين، إنها اندراج دون أوهام في العالمية والحضارة المادية وأولوياتها .

هي : إنهاء هذه الخصوصية وذلك التراث (١) .

والحداثيون العرب يعترفون بأن حداثتهم مستقاة من الحداثة الأوروبية، كما قال محمد برادة : « إن الحديث عن حداثة عربية مشروط تاريخيًّا بوجودٍ سابقٍ للحداثة الغربية، وبامتداد قنوات للتواصل بين الثقافتين» (٢) .

ولأن حركية الحداثة ــ في أوروبا ــ كانت موجهة لنقد الدين وإخضاعه لتطوير العقل البشري وفق مسيرة الفكر المعاصر، اندفع المتأثرون العرب بها في هجوم قاسٍ على الإسلام، مصادره، وعقيدته، وشريعته .

هذا : وقد يستخدم بعض البارزين في الحركة الإسلامية التحديث بمعنى التجديد ، ولكن هذا التجديد لا ينفك عن منحى الحداثة، فهو تجديد، يكون لفكرِ العصر الحاضر دور كبير فيه ، تجديد يجرد الكتاب والسنة من لواحقهما التراثية، ويتحلل من كثير من الضوابط لحساب خطاب العصر السائد مثل من يفسر الإجماع الشرعي بأنه : اتفاق مجلس مؤسسة أو حزب أودولة على أمر من الأمور ، أو يجرد القياس الفقهي من العلة الرابطة بين الأصل والفرع .

---

(١) برهان غليون ـ اغتيال العقل ـ ص : ١٩٤ .

(٢) انظر : مجلة البيان ـ الإسلامية ـ ص : ١٩، العددان : ٤٣، ٤٤ ـ ١٤١٢هـ حلقات الدكتور أحمد خضر بعنوان (علماء الاجتماع والعداء للدين وللصحوة الإسلامية) .

المسلمون والعصرانية

العالم الإسلامي أمام العصرانية :

كان العرب ومن حولهم من الأمم ـ قبل الإسلام ـ يتشبثون بعقائد خرافية ، ويتدينون بنحل منحرفة عن سواء السبيل ، ويحكمون حياتهم بأعراف ، وتقاليد وضعوها من أنفسهم ، وحاكوا فيها من يجاورهم من أقوام . بعث الله نبيه محمداً ﷺ من بين العرب بدين الإسلام، فقدم للناس دين ربه، من خلال وحي إلهي تلقاه .

* عقائد يقينية في قضايا الوجود التي تهم الإنسان في حياته .

* وأحكاماً عبادية ، وخلقية، واجتماعية كاملة في كل شئونه .

﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾ (١) « سورة الأنعام آية : ١١٥ » .

وتلقى العرب ثم من حولهم هذا النورالمبين والحق الشافي، فاستقامت به حياتهم الفكرية والعملية ، استوت به حضارتهم المتفردة بجمعها بين العلم الصحيح، والخلق القويم .

واعتصموا بهذا الهدي من التيه مع التائهين .

ولكن الأمة الإسلامية لم تبق على هذا الاعتصام الذي كان عماد رشادها في قرونها الأولى .

بدأت ترتخي يدها في الاستمساك بحبله شيئاً فشيئاً، وتضعف صلتها

---

(١) صدقاً في الأخبار، وعدلا في الأحكام . انظر : تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٧) .

به، وتتقبل بدائل من خارجه في عاداتها وعباداتها، بل وعقيدتها، فشاعت البدع والضلالات في العقائد والعبادات. وتحكمت الأعراف والعادات في السلوك والعلاقات. وفشا الجهل بالدين، مما أدىٰ إلىٰ انقلاب المفاهيم، وتلاعب الدجالين فيهم.

وتقهقروا فكريًّا في كل جوانب العلم فقهاً وإيماناً وعلوم وسائل، حتىٰ هيمنت النصوصية التي كان منتهىٰ طالب العلم منه، حفظ النص، وفك بعض رموزه، أو حفظ القواعد دون تطبيق لها في حركته العلمية والعملية. وهكذا أصبحت حياة المسلمين الفردية والاجتماعية في العصور المتأخرة حياة راكدة متخلفة مهترئة (١).

كان العالم الغربي في هذا الوقت الذي يسير فيه العالم الإسلامي في طريق التقهقر فكريًّا، وحضاريًّا ـ في فورة نهضته المدنية وانطلاقته التحررية ـ خاصة من إسار الكنيسة ـ حيث بدأت تتشكل لديه ملامح ثقافة حضارية فاعلة.

---

(١) هذا الحكم للعموم، لكنه ليس عامًّا لكل الناس، بل ولا كل البيئات، فقد ظهر خلال القرون المتأخرة فحول من العلماء المتحررين من ضغط الثقافة المهيمنة في وقتهم، وقد تجاوز تأثيرهم أنفسهم إلىٰ بيئاتهم، فحركوا راكد فكرها، وردوا أهلها إلىٰ الأصول الصحيحة التي بها حياة فكرهم وسلوكهم السليمة إلىٰ الكتاب والسنة.
انظر توسعاً في تصوير حال المسلمين في القرون المتأخرة:
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين مرجع سابق ص: ١٢٩.
العلمانية ـ سفر الحوالي، ص: ٥٠٧.
الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام عبد الستار سعيد.

وهكذا : منذ قرنين تقريباً التقى المسلمون بالغربيين لقاءً مختلفاً عن لقاءاتهم السابقة بغيرهم من الأمم، لقاءات الفتح والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ظلام الكفر إلى نور الحق والإيمان .

أجل . لقد كان هذا للقاء الأخير تفاعلاً فكريًا بين طرفين :

الغرب والمسلمين

الغرب ممثلاً بثقافة حية متوثبة ، سواء في علمها التقني التطبيقي أو في فلسفاتها الاجتماعية ، أو في مواقفها الحادة الثائرة، بعداً عن الدين واستهتاراً بالأخلاق، وتهالكاً على المادة، وطموحاً إلى التغيير والسيطرة داخل بلادها، وخارج حدودها .

والمسلمين ممثلين بثقافة ذات أساس علمي مكين ، لأنه وحي إلهي معصوم . ولكنها في واقع حياتهم متكلسة متقهقرة محتاجة إلى البعث والإحياء .

وفي دائرة هذا المعادلة أطل الغرب على المسلمين ، فأخذ زمام المبادرة منهم في تحريك جوهم الساكن، الذي سكن معه مركبهم ، وراح يقذف على المسلمين أنواعاً من المشاريع النهضوية التي تستهدف إحداث تغيير ثقافي، مستغلاً كل القنوات المتاحة التي من أهمها تَنَفُّذُهم الفكري والتعليمي، والسياسي، في فترة الاستعمار، أمّا أهمها : فهم أبناء العرب والمسلمين الذين درسوا في الغرب أو استهوتهم أحواله، وبهرهم بريقه، ومن ثم أشربوا مذاهبه فحملوها إلى بلادهم على أنها طوق النجاة

من الواقع الأليم لأمتهم العربية والإسلامية، وهؤلاء هم رواد العصرانية الأوائل في العالم الإسلامي (١) .

وهكذا ابتدأت حركة العصرنة عند المسلمين ، من واقعهم كان منطلقها : المسلمون متخلفون، وبحاجة إلىٰ نهضة وبعث .

وهذا مالا يخالفهم فيه غيرهم من المسلمين .

إنما الخلاف فيما وراء ذلك في منهج النهوض الذي يلوّح به العصرانيون وهو أن تقام حياة المسلمين علىٰ أساس ما انتهىٰ إليه الفكر البشري في هذا العصر في سائر النظم والمعارف والفنون .

ماهو هذا الفكر البشري؟

إنه فكر الغرب = فلسفاته ، ونظمه، وآدابه .

وهكذا اكتمل المسلسل .

انحراف من المسلمين عن دين ربهم، أورثهم انحطاطاً، وتخلفاً، هيأ هذا التخلف ساحتهم لتعلو فيها صيحات العصرانيين ، بل هيأ كثيراً منهم لتقبل العصرانية .

ومع هذا فإن للغرب ذاته استعماراً ، واستشراقاً، وتنصيراً، وتغفيلاً دوراً قويًا في دعم مسيرة العصرانية بتمكين رجالها من المناصب، وسلخهم عن دينهم ما استطاعوا إلىٰ ذلك طريقاً .

---

(١) سوىٰ هؤلاء هناك صنف آخر من المسلمين رزقه الله سداداً في الموقف تجاه مدنية الغرب الغازية لفكره ودينه، فرجع إلىٰ أساس إيمانه، إلىٰ دينه .. إلىٰ الكتاب والسنة، وجعلهما معياراً يزن بهما واقع أمته ووافد المدنية الغربية لينفي الخبث من كليهما، ويأخذ السليم منهما .

وقد سلكت العصرانية في العالم الإسلامي مسلكين :

١ ـ مسلك الدعوة الصارخة والفرض الحاسم للاندفاع في حضارة العصر والتضحية بما يعوق عن ذلك من دين وتقاليد ، بل والتضحية بمن يعوق ذلك من الذين يقفون أفراداً وحركات في وجه مسخ الأمة المسلمة . وقد تم ذلك بوسيلتين :

* بقوة الحكم والتطبيق العملي كما فعل أتاتورك، وجمال عبدالناصر ، وبورقيبة، وأحزاب البعث .

* بحركة الفكر من قبل المنسلخين من إرهاب أمتهم، كما تعكسه دعواتهم الحركية ـ مثل : طه حسين ، وعلي عبدالرازق ، وزكي نجيب محمود ، وصادق جلال العظم ، وفؤاد زكريا ، ومحمد أركون ، وعبدالله العروي ، وكثير من الوضعيين ، واليساريين ، والوجوديين.

٢ ـ مسلك العصرنة العملية التخطيطية التي تُعَصْرِن شئون الدولة في نظمها ، وحياة الناس في جوانبها المختلفة ، من خلال الاقتصاديين في الاقتصاد ، السياسيين في المبادئ العامة ، وأهل الأدب والفن في مشاعر الناس ورؤاهم ، وأهل الفكر في مجالات العلم ، وطرائق التربية ، ومناهج التعليم ، وهلم جرّا .

والعصرانيون في البيئة الإسلامية أنواع :

ـ ما بين منسلخ من الإسلام ملقح بمذهبية بديلة ، ومن ثم يشعر أن وجوده في البيئة الإسلامية ، وفي مجتمع يحكمه الإسلام لا قيمة له ولا

فاعلية ، مادام أن الإسلام الذي انفصل عنه هو المهيمن والمعيار، ولذا يحاربه .

ـ أو معاد لعلماء الإسلام والملتزمين به لا يجد سبيلاً لثأره منهم ، إلا بمحاربة الدين الذي يحملونه .

ـ أو نصراني لا يسعده أن يسود الإسلام في أرض هو فيها .

ـ أو صنيعة من صنائع الأعداء يهدف معهم إلىٰ كسر شوكة الإسلام طلباً لعرض من الدنيا، أو نتيجة غسيل مخ تم له (١) .

ـ أو مخدوع يجهل حقيقة الإسلام وحقيقة العصرانية، ولا يدري أن هذه العصرنة إفساد في الدين وانحراف عن سبيله .

ـ أو لا مبالٍ بأمر دينه ـ الإسلامي ـ ترك قياده لثلة الأصدقاء، أو لزملاء العمل، أو لمصطادي الفارغين، فكان أن استهووه في تيار العصرانية ليكثر سوادهم، أويتشيع لهم، أو يخدمهم بمركزه، أو يروج لهم في أوساطه، وبين أترابه ، وربما كان أكثر هذا الفئة الأخيرة من الشباب الذي فقد حضانة سليمة، فأصابوا منه مقتلاً باحتضانهم له لتسخيره ، وإن لم يع من عصرانيتهم شيئاً، إلا السخرية بالدين وسب حملته، والإكبار لكل ما عند الغرب، لأنه من عند الغرب .

(١) تتكشف حيناً بعد حين عمالة بعض الأشخاص والمؤسسات والدول ، من خلال الأحداث أو رجال المخابرات مثل مايزكوبلاند في لعبةالأمم وجورج ادمز في التقارير السرية للمخابرات الأمريكية الذي ذكر سعة هيمنة هذه المخابرات على المثقفين والصحافة ودور النشر لتسخيرها فيما يسهل من مهمة الحكومة الأمريكية في السيطرة على الشرق الأوسط وكانت من مهارة التغلغل ، بحيث أن مجلة مثل (حوار) اللبنانية ظلت زمناً لم يكتشف أن تمويلها الرئيس من المخابرات الأمريكية مباشرة، مما حدا برئيس تحريرها توفيق صائغ إلى الاستقالة إثر افتضاح المجلة .

انظر : التقارير السرية إبراهيم العربي ص : ٤٩ .

واقع الأمة تحت تسلط العصرانية :

تظاهرت أمور عديدة لخدمة العصرانية :

١ ـ الاستعمار الغربي بجيوشه ، واستشراقه، وتنصيره.

٢ ـ الابتعاث إلى الغرب .

٣ ـ الحكومات المنحرفة التي هيأت للعصرانيين وسائل التغيير في المجتمعات المسلمة، وحاربت بالمقابل الاتجاه الإسلامي .

٤ ـ السرطان الشيوعي الذي جند علماءه اليساريين لتدمير الدين والقيم، إلى غيرذلك ، مما جعل الخناق يحكم بشدة على الأمة المسلمة، حيث أورث :

ـ واقعاً حياتيًا للمسلمين ممسوخاً بعيداً عن الدين، ضائعاً في وجهته، يزداد انحاطاً، وتدهوراً ، متقلباً بين شعارات العصرانيين من ليبرالية إلى اشتراكية، إلى ماركسية، إلى قومية ... مابين تبعية مكشوفة لأحد النظم الاستعمارية ـ سابقاً ـ والبنى الفكرية الغربية لاحقاً ، تلك البنى التي تُبَرَّر لتجعل السبيل الأمثل لحياة الإنسان ، وبين تجديف بين تلك النظم لتلفيق مذهبيات مشكلة من تلك البنى الفكرية .

ـ واقعاً مضطرباً بين أنماط التصورات والصور الحياتية التي تعرض على المسلم بمنحاها الغربي المصادم لوجهة الإسلام الواضحة لديه فيها في المناهج التعليمية ، والدراسات الإنسانية، والمؤسسات الاجتماعية ، والحركات الفنية والأدبية والبث الإعلامي .

يرافق هذا كله مقاومة عدائية جادة لأي تحرك إسلامي إيجابي ـ فرديًا، أوجماعيًا ـ لتحطيمه والحيلولة دون امتداده، وتأثيره في الحياة التي استبدوا فيها به .

ومع أن الصحوة الإسلامية بدأت تبعث الحياة والصحة في هذا الواقع المهترئ، وتصعد من حركة النقد الإسلامي للاتجاه العصراني، فضلاً عن الفشل المتتابع الذي كشف للكثير عن إفلاس العصرانية، ونفاق كثير من دعاتها، مما جعلها الآن في حالة جزر واضح .

مع هذا فإنه ما يزال الإعلام ، والتعليم، والحكم ، والمؤسسات الفاعلة وكثير من الأحزاب، والنقابات، ونحوها من مراكز التأثير تحت هيمنة تيار العصرانية في أغلب مناطق العالم الإسلامي ، مما يعني عدم انحسارها عن الساحة، وإن حاولت تغيير شعاراتها، ومنافقة الواقع الذي بدأت تربته تتغير من تحتها بتأثير صيب الصحوة الإسلامية المبارك .

ولكي تعلم أن العصرانية ما تزال حتي الآن متنفذة ـ في أكلح وجوهها ـ في دنيا العرب ومسيطرة على مراكزها المؤسسية المؤثرة، وأنها لما تزال سائرة في عملية إغواء الأمة وإرباك نهضتها .

لكي تعلم ذلك، ينبغي أن تعرف أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليسكو) (١) قد وضعت ما أسمته بـ(الاستراتيجية الثقافية للدول العربية) ، من أجل أن تسترشد بها الدول العربية الأعضاء في العمل الثقافي والمناهج التربوية والبرامج الإعلامية .

وقد أقرت هذه الاستراتيجية من قبل المجلس الوزاري للمعنيين

---

(١) أنشئت المنظمة في أوائل السبعينات الميلادية ، وهي منظمة منحرفة في توجهاتها ورجالها، وعامة من تستعين بهم في أنشطها، فهي تستبعد من يحمل فكراً إسلامياً، وتحارب الفكر الإسلامي ذاته .

انظر : صحيفة المسلمون، عدد (٣٤٠) ـ مقالة (غزو من الداخل) جمال سلطان .

بالثقافة عام ١٤٠٦ هـ ـ الذي دعا إلىٰ نشرها وتعميمها والاسترشاد بها في خطط التنمية الثقافية للدول الأعضاء .

وقد دعي للمشاركة في إعداد هذه الخطة الشاملة علىٰ مستوىٰ العالم العربي أكثر من ستمائة مفكر عربي ، وباحث ، ليس فيهم عالم أو مفكر إسلامي واحد ، بل إن أكثرهم ممن اشتهر بعدائه للإسلام والقرآن ، وانسلاخه عن عروبته (١) .

ولأن هذا مجرد مثال أذكر لك ملخصاً لبعض مقولات تلك الاستراتيجية :

١ ـ انتشار (الفكر الغيبي) أي : الإيمان بالغيب أهم أسباب انتكاسة الحضارة العربية .

٢ ـ إذا كان الدين عنصر الوحدة في القرون السابقة ، فإن القومية هي عنصرها في العصر الحديث .

٣ ـ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حركة سياسية تسترت باسم الدين .

٤ ـ من المستحيل أن نقبل تقنيات الغرب وعلومه ، ونرفض في نفس الوقت فلسفاته ، ونظمه .

٥ ـ الحضارة الأوروبية حضارة مطلقة قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان .

٦ ـ لا يمكن أن نتحرر من الغرب حتىٰ نتحرر من تراثنا ذاته .

٧ ـ النبي محمد ﷺ كان يدير سياسته بفكر عقلاني ، لا ديني .

---

(١) انظر : الغارة علىٰ التراث الإسلامي جمال سلطان ص : ١٣٠ .

٨ ـ على استراتيجية الثقافة العربية أن تحذر السقوط في حبائل الفكر الديني (١) .

العصرانيون ومفاجأة الصحوة الإسلامية :

تصور العصرانيون في العالم العربي والإسلامي أن دين الإسلام قد انحسر عن التأثير في الحياة ، وأن أهله قد انكمشوا للأبد ، وأنه في طريقه إلى النسيان الأبدي .

وربما كان التساؤل الوارد بينهم هو : هل لَفَظَ الدين أنفاسه الأخيرة ، هل تطاير رماده بعد احتراقه ، أو لا ؟ .

تصوروا ذلك نتيجةً حتمية لتلك العوامل المتظاهرة في نشر العصرانية المناوئة له ، وغرسها في أرض المجتمع الإسلامي ، ولِما قدَّموه من إغراءات ومشروعات نهضوية مستغربة ، وما أغرقوا به المجتمع من مشكلات معقدة ـ اقتصادية ، واجتماعية ، وترفيهية ـ ، وما شنّوه من حرب فكرية وعملية على الدين وعلمائه المتحمسين له .

ولكن الله خيب آمالهم . فقد فاجأتهم الصحوة الإسلامية وهم يتلذذون بأحلامهم تَهُدّ ما بنوه ، وتسفه ما نصبوه من أصنام ، وتقدم

---

(١) انظر في هذا : الغارة على التراث الإسلامي مرجع سابق ، ص : ١٣٠ .
وصحيفة المسلمون ـ عدد ٣٤٠/ ٢٩/ ١/ ١٤١٢هـ ـ الحلقة الأولى ـ لجمال سلطان من (غزو من الداخل) .
وجدير بالذكر أن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسكو) بصدد إعداد استراتيجية للثقافة الإسلامية ، نأمل فيها الاستقامة والنفع للمسلمين .

نفسها بديلاً أصيلاً لقيادة هذه الأمة بعدما انكشف زيف كل الشعارات والطروحات التي قدمها العصرانيون . وكان وقع هذه الصحوة عليهم شديداً مذهلاً .

* فبعضهم أنكرها وادعىٰ أنها خيال لا حقيقة له، وأنها أحلام وهمية هرب إليها المتدينون من الواقع الذي يمقتونه (١) .

* وآخرون اعترفوا بوجودها وبانتشارها السرطاني ـ كما يصفه بعضهم ـ ومن ثم ذهب هؤلاء يندبون حظهم، نادمين علىٰ أن الإسلام لم يستأصل كليًّا من التربة العربية ، حينما كان كل شيء بأيديهم .

* ويلوم أناس منهم أنفسهم ، لأنهم عاشوا في خيال ، نتيجة استلابهم لقوانين اجتماعية تلقوها من الغرب علىٰ أنها حتميات مطلقة، لا يندّ عنها شيء ، ومن ثم طبقوها علىٰ مجتمعاتهم وانتظروا نتيجتها المحتومة ـ قبولاً من الأمة لعصرانيتهم واستدباراً للدين ـ فراعهم أنها انعكست إلىٰ ضد ما كانوا يأملون .

يقول د. علي الكنز : « إن التحليل السوسيولجي الذي جاء به عبدالله العروي وتبنيناه نحن ما هو في نهاية الأمر إلا مغالطة لا يمكن أن تشاهد في التاريخ » (٢) .

---

(١) يعترف الدكتور غسان سلامة أستاذ في جامعة السوربون ـ في ندوة الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي ـ المنعقدة في الأردن في ١٩٨٧م ـ وهو يتحدث عن الصحوة (بأنه ما زال عدد منا يشك في مجرد وجودها) ص : ٣٨٨ من الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي تحرير ـ الدكتور سعد الدين إبراهيم .

(٢) الإسلام والهوية ـ د/ علي الكنز ـ عن مجلة البيان الإسلامية ـ عدد(٤١) ص : ١٢ ، في مقال (علماء الاجتماع والعداء للدين وللصحوة الإسلامية) لأحمد خضر .

ويقصد الكنز هنا ما نقله العروي عن الفلسفة الماركسية من أن بروز الرجل التقني - رجل الصناعة - متناسب مع اختفاء رجل الدين . كلما ازداد بروز الأول زاد اختفاء الثاني ، حتىٰ ينسحب الدين نهائيًّا من المجتمع إذا سادته الروح التقنية .

وصور (برهان غليون) الصعقة التي أحدثتها الصحوة فيهم فأفسدت عليهم تهويماتهم المغرقة في الفناء في عصرانيتهم ، فيقول بعد كلامه عن تير التحديث الجارف ونضاله الشامل المستميت الذي انحسر أمامه التراث والشعور الديني وهيمنة علماء الدين - هذا التيار الذي يتمثل في نظم ، وأحزاب ، ومؤسسات إعلامية ، وثقافية ، واتجاهات فكرية - يقول بعد هذا : « وفجأة تغير الوضع ، والمشكلة - مشكلة إقصاء الدين عن الحياة - التي بدت محسومة منذ أكثر من نصف قرن برزت من جديد أقوىٰ من أي حقبة أخرىٰ حتىٰ لقد تحولت في العديد من البلاد العربية إلىٰ موضوع الجدال الأول في الحياة العامة الثقافية والسياسية » (١) .

ثم ماذا ؟ ما هو الموقف الذي اتخذته العصرانية تجاه هذه الصحوة ؟

أغلب العصرانيين - علىٰ اختلاف مشاربهم - لا يرىٰ خيراً للأمة من هذه الصحوة ، بل يراها حجر عثرة في مسيرة النهوض العربي .

وسبب ذلك أن جيل الصحوة واضح المبدأ في حركته وهو الرجوع إلىٰ الكتاب والسنة في معالجة المشكلات التي تطرحها علاقة الإنسان بالعالم والطبيعة ، والفكر ، والفن ، والمجتمع ، بحيث لا يجعل للثقافة

---

(١) اغتيال العقل ، ص : ٢٠٢٠ .

العصرية ـ الأوروبية أي دور معياري في معالجة تلك المشكلات (١).

أي أن سبب إخفاقها ـ لديهم ـ عدم عصرانيتها . لكن هذه الصحوة فرضت نفسها على الواقع الاجتماعي، وامتدت فاعليتها إلى الجوانب الحيوية من هذا الواقع ـ الإعلام، التعليم، السياسة ـ ومن ثم كان لابد للاتجاه العصراني من اتخاذ موقف حركي من هذا التحدي الذي تمثله الصحوة .

إذا تركنا جانباً الذين يرون ضرورة مواصلة إغراق المجتمع المسلم بالتحديث والعصرنة، وتجاهل هذه الصحوة، أو السخرية بها، الإغراء بسحقها، وتهويل عواقب فتح المجال لها بين الناس، وفي مجال الحكم .

إذا تركنا هذا الصنف جانباً (٢) ، فإننا نجد أن الموقف التكتيكي للاتجاه العصراني إزاء الصحوة يتمثل في الانفتاح عليها، ومغازلتها،

---

(١) انظر : مجلة (البيان) الصادرة عن المنتدى الإسلامي ـ عدد : ٧٤٠ ، ص : ٤٤ .
مقال . د. أحمد خضر ـ علماء الاجتماع والعداء للدين وللصحوة الإسلامية .

(٢) أعني من هذا الصنف التقليدي الذي بقي رغم تغير الأحوال ينفخ في بوقه القديم صنف زادت حدة هجومه، وتوسع في توزيع ضرباته في الأمة وهو الصنف الذي يطلق عليه الأستاذ جمال سلطان في صحيفة (المسلمون) (ظاهرة محمد أركون) نسبة إلى رمز من رموزه، فقد كان انعكاس التحول الاجتماعي الذي يسير فيه المجتمع المسلم نحو أصالته ديناً وتاريخاً وتراثاً ليجعلها فاعلة في حاضرها موجهة لحركة المشتغلين ـ كان انعكاس هذ التحول ـ على هذه الفئة مفزعاً ـ لما تحمله من طموحات مضادة ـ لذا قررت تصعيد المواجهة لا مع الواقع العربي فكراً وحركة فحسب، بل مع منازع الأمة بصورة شاملة، مع دينها ، وقرآنها ، ورسولها وتاريخها وتراثها، فضلاً عن فاعليتها الحاضرة .
ويلحظ كاتب الدراسة : أن هناك خيطاً يربط هذا النسق من أشخاص هذه الظاهرة وهو انتماؤهم إلى أقليات مذهبية، أو طائفية، أو عرقية . صحيفة المسلمون ـ عدد: ٣٧٧، ص: ٨ .

والاعتراف بها كواقع ينبغي أن يكون له دور في تشكيل المجتمع، وأن تسمع له الاتجاهات الأخرىٰ، لكن ذلك كله عَرَضٌ تُغْري به الصحوة لا يمكن أن يُمارس إلا في إطار تنازلٍ من الصحوة عن رفضها المبدئي للحداثة والليبرالية الفكرية، وأسس المنهجية العصرانية. وقد يقدم بعض هؤلاء نصائح وتوجيهات لها كي يقبلوها، وتشارك من ثم بناء المجتمع.

يرىٰ ـ مثلاً ـ الدكتور عابد الجابري وهو يتحدث عن المغرب العربي والحركة الإسلامية فيه: إن هذه الحركة لن تنجح في تأسيس وجودها وسط الجماهير كقوة محركة للتاريخ إلا إذا تبنت أهدافاً سياسية، واجتماعية تستجيب لمطلب الجماهير ومطامحها المادية والمعنوية معاً، وإذا فعلت ذلك فإنها ستتحول لا محالة إلىٰ حركة سياسية، وبالتالي سيتوقف نجاحها علىٰ مدىٰ تكييفها للدين مع السياسة (١).

وهذه الدعوة التي قد تبدو منصفة ومتهيئة لسماع الحق من أهله دعوة خبيثة ـ وإن أخلص بعض دعاتها ـ لأن ثمرتها وقوع الصحوة في فلك العصرانية، أي: أنها تتحرك مشدودة بخيوط الفكر العصراني ومشكلاته النابتة ـ أصلاً ـ في حضارة غير حضارتها.

وهذه الدعوة هي ما تُعرف بحالة الاستقطاب الفكري التي كثرت دعوة العصرانيين لأهل الصحوة إلىٰ الوقوع في شَرَكها من خلال مطالبتهم بتقديم مناهج ورؤىٰ حول المشكلات التي يعاني منها العالم المعاصر، والتي لم تخرج في تصورهم عن التعلق بأحد الحلول التي سبق الغرب إلىٰ تجربتها.

---

(١) المغرب المعاصر ـ محمد عابد الجابري، ص: ٧٥.

وقد يكون بعضهم طيب النية في دعوته، ولكن انغلاقه في دائرة الفكر المعاصر بتصوراته الوجودية، ونظرياته الاجتماعية بعيداً عن دينه يبعده عن تخيل أن الإسلام يمثّل منظومة مذهبية متكاملة لها أساسها العقدي ونُظُمها الشاملة المترابطة ومصطلحاتها المتميزة (١).

كذلك يرىٰ العصرانيون في مواجهة الصحوة ضرورة تنويع البحث في عملية اختراق البنية الإسلامية .

فإن كان الإغراء بالثقافة الغربية المعاصرة، وتكريس قيمتها في المجتمع المسلم، وفرض نُظُمها بالقوة لم يحقق هدفها المنشود، وهو : انفصال المجتمع الإسلامي عن تراثه الذي يمثل جاذبيةً تشده عن الاندماج في حضارة العصر، فإنه ينبغي أن يُستبدل به أو يُشرك معه جهد آخر، وهو : النقد المركز للتراث حتىٰ ينهدم الأساس الذي تركن إليه هذه الصحوة .

يرىٰ بعض هؤلاء أن هذا النقد ينبغي ألا يكون سبًّا مباشراً للتراث، لأن هذا قد يزيد من تشبث الناس به ، وإنما يتم بإعلان احترام التراث والدعوة للرجوع إليه، من خلال نقدٍ واعٍ له بعقليتنا المعاصرة، خاصة أسس هذا التراث المنهجية التي قام عليها .

هذا هو مايركّز بعض العصرانيين البارزين اليوم عليه :

مثل : محمد أركون صاحب الدعوة إلىٰ الرجوع للقرآن الكريم لدراسته وفق المنهجية الألسنية . وحسن حنفي الذي يسعىٰ لبعث مبدأ

---

(١) انظر إن شئت مزيد وضوح في هذه القضية ـ جذور الانحراف في الفكر الإسلامي جمال سلطان ٧١ .

تقديم العقل على النقل، والذي يرى أن الدراسة المعمَّقة للقرآن الكريم تبين أنه علماني المنحى، وإنما حوله المسلمون إلى وجهة دينية (١).

ومحمد عابد الجابري الذي يرى أنه لكي نؤمن بفاعلية المنهج العلمي الغربي لابد أن ننقد المناهج التي قام عليها التراث عند المسلمين، لنكشف قيمتها في دائرة المنهجية القائمة اليوم (٢).

وهناك من اتجه إلى التراث ليتكيء عليه في ترويج عصرانيته، من خلال عملية انتقاء لبعض عناصره التي تقبلها منهجية الفكر المعاصرة أو من خلال بعض رموزه المنحرفة عن الإسلام، أو ذات الشذوذ في فكرها مثل: مافعل د. زكي نجيب محمود في (تجديد الفكر العربي)، ود. حسن صعب في تحديث العقل العربي.

وهناك فضلاً عن هؤلاء آخرون كانت لهم مواقف تتسم باتزان وعدل، حيث ينادون بضرورة أن ينقد العصرانيون مناهجهم، وأن يعترفوا بأن ظهور الصحوة ناتج عن إخفاق مشروعاتهم (٣)، وأن يتأملوا في الصحوة، ويعرفوا ما عندها على حقيقته، لا من خلال مناظير مستعارة، وقد أعرب بعضهم عن رغبته في التعرف على حقيقة فكر الصحوة ودعوتها من أهلها.

ولعل ما يلحظ من تحسن في كتابات بعضهم، أو تراجع عن بعض مقولاتهم السابقة نتيجة لمراجعة ذاتية سببها هذه الصحوة التي هزت

---

(١) انظر حوار المشرق والمغرب - حسن حنفي ومحمد عابد الجابري ص ٤٥، وكذلك الغارة على التراث الإسلامي (مرجع سابق) ص: ١٣١.

(٢) في هذا كتب الدكتور الجابري دراسة فكرية مطولة ومركزة بعنوان (نقد العقل العربي).

(٣) إلى هذا يوجه د. برهان غليون في (اغتيال العقل) وإن كانت له مواقف تتسم بالحدة تجاه الصحوة.

السفينة التي ظنوها سكنت على الشاطئ الذي يهوون بعد أن أوثقوها بحبالهم عليه .

من مظاهر العصرانية في حياتنا الاجتماعية :

ـ كما سلف ـ فقد تهيأت للاتجاه العصراني في البلاد الإسلامية ظروف ساعدت على نشر وبائه ، وإذا كان الاستعمار عاملاً ساعد على نشر هذا الوباء ماستطاع في البلاد التي استعمرها ، فإن قيام النظم التي تنفذت بالعصرانيين في الجوانب المختلفة ، خاصة الثقافة ، والتي تنفذوا هم بها ـ أيضاً ـ كان عاملاً أكبر وأخطر ، لا في البلدان التي حكمتها فقط ، بل امتد تأثيرها إلى ما وراء ذلك .

وسأشير هنا : إلى بعض مظاهر العصرانية التي تسربت إلى حياة الكثير منا ، واستمرأها ، والتي يدأب العصرانيون على إشاعتها ما استطاعوا مغالبين حركة المد الإسلامي .

وليس الحكم عامًّا ، بمعنى أنني لا أحكم بتمثلها في الجميع ، ولكنها مع ذلك منتشرة ، سارية في حياة كثير من المسلمين ، حتى من الذين يحاربون الفلسفات التي صدرت عنها .

وقبل السرد المرقم لمظاهر العصرانية في حياتنا الاجتماعية والفردية ، أنقل لك مقتطفاً من كلام راصدٍ غربي لحياة المسلمين يرسم فيها صورة لتحولها مبيناً أن الهيمنة التي كانت للدين ـ للقرآن ، والسنة ، والشريعة ـ على شعور المسلم ووجدانه قد خَفَّت أو غابت ليحل محلها شعور منحرف نحو الغرب يُكْبِره ويهيم به .

يقول المستشرق هاملتون جب : « إن الإسلام كقوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية فَقَد مكانته وسلطانه، فهناك مؤشرات أخرى تعمل إلى جانبه، وهي في كثير من الأحيان تتعارض مع تقاليده، وتعاليمه تعارضاً صريحاً، ولكنها تشق طريقها إلى المجتمع المسلم بقوة، وعزم، فإلى عهد قريب لم يكن للمسلم اتجاه سياسي يخالف الإسلام، ولا أدب إلا الأدب الديني ، ولا أعياد إلا الأعياد الدينية، ولم يكن ينظر إلى العالم الخارجي إلا بمنظار الدين، وكان الدين هو كل شيء بالقياس إليه ، أمّا الآن : فقد أخذ يمد بصره إلى ما وراء عالمه المحدود، ولم تعد تعاليمه الدينية القديمة صالحة لإمداده في حاجاته الروحية، فضلاً عن حاجاته الاجتماعية، بينما أصبحت مصالحه، وحاجاته الدنيوية هي أكثر ما يسترعي انتباهه » (١) .

ولا بد أن يكون في بالك أن اقتصاري على بعض الأنماط الاجتماعية التي تمس قلوب الناس وحركتهم المباشرة، لا يعني انحصار آثار العصرنة فيها . كـــلا . إن عامة المصائب الفكرية والاجتماعية والحضارية على مستوي الأمة والشعوب والدول عائد إلى العصرانية ـ بالدرجة الأولى ـ، التي وقفت بالأمة عن النهوض السليم وفق شريعة ربها، وحطمت ما بقي من بنيتها في الاقتصاد، والسياسة، والفكر، والأسرة وغيرها، وجعلتها في جوانب حياتها تابعة ذليلة للغرب .

يقول منير شفيق مبيناً الأثر الشامل للفكر المتغرب في الأمة وقد كان من ذويه ثم هداه الله (اندفع الفكر المتغرب يشهر حرباً شاملة على الإسلام

---

(١) العلمانية ـ د. سفر الحوالي ، ص : ٥٨٦ .

وأهله، ظانًّا أن في ذلك تحريراً للشعب، وللمرأة، وإطلاقاً للعقل . . . ولكنه ما درىٰ أن تلك الحرب تأتي بنتائج معاكسة تماماً، إذا بالشعب يُحطَّم ويُشَل، وإذا بالمرأة تتيه وتضيع، وإذا بالعائلة تتمزق وتتخبط، وإذا بالعقل يصبح مغلولاً إلىٰ الغرب، وإذا بالاستقلال تبعية، وإذا بالتقدم الاجتماعي مزيداً من التخلف، ثم وصلت الأمور إلىٰ أن يعلن ذلك الفكر نفسه أننا نعيش زمن الانحطاط العربي (١) . وإليك الآن بعضاً من مظاهر التأثير العصراني في حياتنا الاجتماعية :

١ ـ تأليه الإنسان :

انعكست السلبية وضعف التفاعل مع الكون التي كانت سمة الإنسان في قرون الضعف ـ عند المسلمين ـ إلىٰ نقيض متطرف لدىٰ كثير من المسلمين غَذَّته العصرانية بما استوحته من الغرب الذي غلا في الإنسان حتىٰ منحه خصائص الألوهية، ألمْ يصرح كثير من رواد النهضة الأوروبية بأنهم عملوا علىٰ (نقل المقعد من الله إلىٰ الإنسان، ولذلك سمىٰ بعضهم هذا الدين الجديد الإنسانية) (٢) .

أجل . لقد ركّز الكثيرون ـ من المسلمين ـ علىٰ الإنسان، وما له من خصائص متفردة، وقدرات خلاقة، تجعله يواجه الحياة كما يشاء، ويصبح بها سيد قدره (٣) ، كما يشيع هؤلاء أن الإنسان تحرر من

---

(١) الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر ـ منير شفيق، ص : ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٢) الدين في مواجهة العلم وحيد الدين خان، ص : ٩٥ .

(٣) علىٰ حد قول الشابي :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر .

سلطات الطبقية والعنصرية والمُسَلّمات القيمية، وكأنه بذلك متفرد في هذا الكون، يُغَير ولا يتغير، يملك بقدراته ولا يملكه أحد، مما يؤدي إلىٰ ضمور الإيمان بهيمنة الله وتدبيره ومدده .

وفي هذا السبيل يدخل الركون إلىٰ الأسباب المادية، والتعلق بها بصفتها مناط النجاح دون سواها، سواء كانت هذه الأسباب عقاقير يستشفىٰ بها، أو عتاداً عسكريّا يحارب به، أو حتىٰ رياشاً وثراء يتعلق به طالب السعادة علىٰ أنه سبيلها، ومن ثم حصر الهم بتلك الأسباب، والغفلة عن مسبب الأسباب ـ سبحانه ـ ، وضعف التوكل عليه، بل وإهمال نوع آخر من الأسباب، وهي الأسباب غير المادية، كالدعاء والإقبال علىٰ الله ـ سبحانه ـ والإحسان إلىٰ المحتاجين .

وليس المقصود هنا دعوة إلىٰ سلبية الإنسان في الكون وإهمال الأسباب، سواء الذاتية منها في الإنسان، كالعلم والحركة العاقلة النشطة، أو الوسائل المعينة في البناء المدني والارتقاء الحضاري .

إن الهدف كشف خلل في الحياة المسلمة، علاجه : وضع الأمور في أنصبتها الصحيحة إيماناً بهيمنة الله وسبق مشيئته مشيئة العباد، وجريان الأسباب بأمره، ثم أخذاً بالأسباب وفق هذا التصور .

٢ ـ البطولة :

ميزان الأفضلية في المجتمع الملتزم بالإسلام هو : التقوىٰ ﴿ **إن أكرمكم عندالله أتقاكم** ﴾ .

التقوىٰ بمعناها الشامل، الذي يستجمع العلم والعمل ـ الفقه في

الدين ـ وتطبيقه في الحياة عبادة، وخلقاً، وحركة .

وكلما زاد نصيب المرء من التقوىٰ علا مقامه في المجتمع، ونافس الآخرين في هذا المضمار .

ونتيجة لذلك : فإن البارزين في مثل هذا المجتمع هم الذين يملكون رصيداً من هذا الزاد يجعلهم موضع ثقة الناس، والأسوة لهم .

لهذا كان العلماء العاملون الصادقون هم نجوم المجتمع ومثالاته .

ولكن الأمر تغير نتيجة تغير مجتمعات المسلمين، وانكماش هيمنة الدين الصحيح علىٰ حياتهم، وبعد تغلغل العصرانية زادت الطين بله، حيث صارت البطولة والنجومية وهالات البروز، محصورة في مجالات بعيدة عن قيم الإسلام أو تافهة لا رجحان لها في ميزانه .

٣ ـ المادية :

يتمثل هذا المظهر في التركيز المفرط علىٰ الازدهار المادي وأسباب الرفاهية المدنية ، حتىٰ يصبح محل الاهتمام الأول، ويجعل هو المقياس لنهضة الأمة ورقيها ، ويرىٰ الناس أن النجاح هو نجاح الإنسان في التحويش (١) أكثر من غيره من الناس من الأموال، مما جعل الناس يفتتنون به ويصبون جهودهم في الاستحواذ علىٰ أكبر قدر يتمكنون منه ولو كان ذلك علىٰ حساب جوانبهم الروحية والإنسانية .

ويدخل في ذلك : صرف الاهتمام الأكبر لما يعنىٰ بالجانب الجسدي

---

(١) لفظة عربية بمعنىٰ التجميع والإمساك ، سواء كان لصيد أو مال أو متاع، انظر : حوش في المعاجم اللغوية .

ورفاهيته تخطيطاً، وتبرعاً، ومطالبة، كالملاعب، والحدائق، والملاهي بما لا يتوازىٰ علىٰ الأقل، مع الاهتمام بوسائل الارتقاء بالروح والفكر، كالمساجد، والمكتبات ودور العلم والمعرفة .

إن هذه الخديعة التي وقع فيها كثير من المسلمين انسياقاً وراء مسلك الغرب في تصور أن التقدم والارتقاء الحضاري محصور في التنمية المادية هي الألم الذي يئن منه الغرب الآن، والتي سماها (أودال) ناظر الداخلية الأمريكية قبل سنوات (توراة الدمار) داعياً إلىٰ تصعيد الغضب والاستنكار لها (فالشوارع العريضة، والبيانات الشاهقة والأسمنت المسلح، وزحمة السيارات، وتكاثف دخان المصانع والتكنولوجيا، كل هذه لا تشكل مدنية، ولا حضارة حقة، إذا فقد معها الإنسان روحه، وتاه عن الهدف من وجوده) (١) .

٤ ـ **من مظاهرها ـ أيضاً ـ تفشي الذرائعية** (٢) ، التي يلهث فيها الإنسان وراء المصالح القريبة والمنافع العاجلة، حتىٰ ضعفت لدىٰ كثير من الناس رعاية الحق والأخلاق، بل صار الحق لديهم ما حقق لهم عرضاً قريباً أو ربحاً ماديًّا بلا اكتراث بحلٍّ ، أو حرمة .

بل إن هناك دعوات محمومة إلىٰ إقامة العلاقات ، وبناء الصداقات علىٰ أساس المصالح المتبادلة دون رعاية للدين، فالعصر كما يدَّعي أولئك

---

(١) إنسانية الإنسان ـ رينيه دوبو ، ص : ١٩ .

(٢) تعريب للفظة (برجماتزم) التي تعبر عن فلسفة يرىٰ أتباعها أن قيمة المعتقدات والقيم الخلقية نابعة من أثرها، فما حقق منفعة للإنسان، فهو حق وخير وصحيح والعكس بالعكس، ومن أبرز روادها : وليم جيمس، وتشارلز برس، وجون ديوي .
انظر : اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ـ عزمي إسلام ، ص : ٨٥ .

عصر المصالح، لا عصر الأيديولوجيات والمبادئ (١) .

ونتيجة لسيطرة النفعية المصلحية على توجه الإنسان وعلاقاته، فقد صار الحب، و البغض، والصلة، والهجران، و القرب، والبعد، والتعاون وضده ـ كلها ـ قائمة على المصالح ، وعلى أساسها تتحدد القيم.

ولم يكن ذلك لأن هؤلاء يؤمنون بالفلسفة ـ البراجماتية ـ الذرائعية التي لا ترى من الحقائق إلا ما أثمر منافع مادية عاجلة في هذه الحياة، دون إيمان بما وراءها من حياة آخرة .

كلا إن كثيراً منهم لايعرف هذه الفلسفة ـ أصلاً ـ ولكن حياتهم العملية انعكاس لها وللأسف .

ولقد تجاوز الأمر إلى أن أصبح التباهي ومفاضلة الآخرين مقصوراً على هذا الجانب، سواء في حياة الأفراد، أو المؤسسات والهيئات، حيث تقيس تقدمها الحضاري، وتَقُدم شخصيتها للآخرين، من خلال ماوصلت إليه من وضع مادي غافلة عن القيمة الثقافية، والزاد الروحي الذي يُمْكن أن نقدم به نفسها سابقة للأخرين (٢) .

---

(١) يلاحظ بعد أزمة الخليج أن هناك تركيزاً هادفاً على هذا المنحى ـ المصالح لا المبادئ ـ مستغلين المفارقات التي حدثت في تلك الأزمة ، ومنتهين من ذلك إلى أن علاقاتنا المصلحية هي التي ساندتنا ، وأن علاقاتنا الأيديولوجية لم تسعفنا بالمستوى الذي كنا نرجوه .

(٢) ذكرت الصحف ومنها (المسلمون) أن لندن وعدة مدن بريطانية شهدت منذ سبتمبر، ١٩٩١م لمدة ستة أشهر عروضاً ومهرجانات يابانية تقدم فيها أبرز مظاهر الحضارة اليابانية الثقافية والفنية والعلمية والمسرحية والرياضية . ويقول الخبر : إن هذه العروض تتناول الحياة اليابانية منذ القرن السابع حتي القرن الثالث عشر الميلادي، بعيداً عن النجاح الاقتصادي والتقني الذي ارتبط بصورة اليابان حاضراً ، ويهدف اليابانيون من ذلك إلى إثبات أنهم رغم تقدمهم التقني والاقتصادي الباهر ما يزالون مشدودين إلى تراثهم وتقاليدهم بكل خصوصياتها .

٥ ـ الانفصام بين الدنيا والدين :

لعل هذا المظهر يمثل أساساً للمظهر السابق . لقد حاول العصرانيون تأكيد التباين بين الدين = الإسلام، والدنيا المعاصرة .

بمعنى : أن المسلم إذا أراد أن يعيش حياة عصرية متمتعاً بتسهيلاتها ومنافساً في بناء صروحها، فلا بد له من التخلي عن دينه .

فإنْ أصر على التزام دينه، فعليه أن ينسحب من حياة الناس، منغلقاً على نفسه، مستغرقاً في مطالب دينه .

يقول العصراني الوضعي د. زكي نجيب محمود : « إني لأقولها صريحة واضحة ، إمّا أن نعيش عصرنا بفكره ومشكلاته، وإمّا أن نرفضه ونوصد الأبواب دونه لنعيش تراثنا، نحن في ذلك أحرار، لكننا لا نملك الحرية في أن نوحد بين الفكرين » (١) .

هذا من جانب العصرانيين . ومن جانب آخر : فإن المواقف الانفعالية لبعض العامة من المسلمين في عدد من البيئات إزاء كل ما كانت تقذف به مدنية الغرب من مستجدات في بدايات انفتاح تلك البيئات على الغرب، والمتسمة بالرفض لها ، والتحذير منها بصفتها مستحدثات لم تعهد في بيئاتهم ، ولم يسمعوا عنها في تراثهم الإسلامي، وقد يتصورها بعضهم داخلة في مسمى البدعة، التي تُعرِّض الآخذ بها إلى نقص إيمانه وثلم دينه، ولعل ارتباطها بغير المسلمين تصنيعاً، وبغير الملتزمين من أبناء المسلمين ترويجاً، واستخداماً ـ أول الأمر ـ قوّى تلك الشبهة .

---

(١) تجديد الفكر العربي زكي نجيب محمود ، ص : ١٨٩ .

هذه المواقف أوحت للناشئة الصغار ـ بخاصة ـ أن القضيةَ دينٌ ومسجد، ومن ثم هروب من الحياة المتدفقة، أو بالمقابل انفلات من الدين، ومن ثم انفتاح علي الحياة، ومشاركة في تيارها المغري .

هذه الصورة التي يتمثل فيها الفصام الحاد بين الدين والحياة، قد تتمثل بهذه البشاعة في حياة بعض الناس، فيغرقون أنفسهم في تيار الدنيا غير رافعين بالدين رأساً، إمّا منسلخين منه تماماً، أو دون ذلك، فقد يصلي ـ مثلاً ـ بعض من تتمثل فيه هذه الظاهرة، لأنه لايسعه ـ مادام جيرانه وأبناؤه وإخوانه ومن حوله يصلون ـ إلا أن يصلي حتىٰ تصبح الصلاة عنده بالتعود شيئاً قائماً في حياته، فيصلي ولو كان وحده، وقد يصوم ـ أيضاً ـ ولٰكن حياته بعد الصلاة حياةٌ لا إسلامية تماماً، حيث يظل ساهياً لاهياً مستحلاً لكثير من المحرمات، ساخراً بشعائر الدين ودعاته، فكأن صلاته تلك مجرد وقفة روتينية في سيره البعيد عن الله، بل قد يشعر بثقلها علىٰ نفسه، وَقطْعِها تواصلَ غفلته، فيعتبرها عَقَبة في طريقه، لا مجردَ وقفة، ومن ثم تصبح تلك الصلاة الشكلية نشازاً في حركته، غير مؤثرة في سلوكه، ولا رابطة له بربه .

وقد تكون الصورة أقل من ذلك ، ولكن الحاجز ما يزال قائماً، ويتمثل ذلك في الانفصام ـ في هيمنة الدين علىٰ مشاعر الشخص ـ بين المسجد، وخارجه. تجد أناساً متدينين في ساحة العبادة وأثناء تأدية الشعائر، وهو تديُّن صادق تحكمه المشاعر الإيمانية الفياضة، ولكنَّ هذا التدين يضعف في حركتهم الحياتية خارج المسجد في جلساتهم وتصرفاتهم ومعاملاتهم، فلا يهيمن عليها هيمنته علىٰ حركتهم التعبدية .

٦ ـ من المظاهر ـ أيضاً ـ تجرد الأخلاق من طبيعتها الإسلامية، التي تربط الأخلاق بالله ـ سبحانه ـ ، وبمسئولية الإنسان أمامه يوم القيامة، حيث شاعت مسميات مثل : القيم ، والمُثُل (١) .

كما تقهقرت فاعلية الثواب والعقاب ورضوان الله، واحتساب الجزاء عنده عن كثير من النفوس المسلمة، فلم تعدْ مناطاً لفعل الخير، والتبرع بالأموال، والإسهام في المشروعات النافعة، أو سبباً في ترك الباطل، والتراجع عن ظلم ، أو عملٍ منكر، وإنما أقيمت بدائل تتجه إليها تلك التصرفات، كإرضاء الضمير، أو اتقاء تأنيبه ، أو الإنسانية . . ونحوها .

٧ ـ وبمناسبة الثواب والعقاب : فإن من آثار العصرانية ذات النزعة المغرقة في المادية أنها أورثت قلوب كثير من المسلمين قسوةً شديدة، وغلظة على ما يتجاوز المادة القريبة، حتى ضَعُفَ كثيراً تأثرُها بالترغيب، والترهيب، والوعد، والوعيدوصاربينها وبين ذكر الموت والجنة والنار حجاب كثيف .

لقد كان الناس قبل عقود من السنين ـ في بلادنا ـ إذا سمعوا المذكر بالموت، وأهواله، والقبر ووحشته، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها ، تَرِقّ قلوبهم ويلومون أنفسهم على تفريطهم، وينفعلون في واقعهم، إن قصيراً من الوقت أو طويلاً بذلك الوعظ حتي الفسقة منهم . . أمّا الآن : فإن هذا اللون من الوعظ ـ لدى كثير من الناس ـ أصبح مستهجناً غير سائغ ، لأنه يهدف إلى نقل الإنسان إلى عالم ليس مجالاً لاهتمامه، هذا

---

(١) التي هي بدورها مجال استهتار ـ كما يتضح في المسلسلات المُمَثّلة ـ حيث يكون الملتزم بالحق الذي لا يغش ولا يسرق مجال سخرية الذين يعون عصرهم، فينتهزون الفرصة المواتية لالتهام ماتيسر لهم، دون تعثر في تلك القيم والمثل .

الاهتمام ـ الذي حصره بعالمه المادي العاجل ، ولا يريد التفكير بسواه ، أو أن تذكيره بذلك يوقظ فيه الشعور بعظم جريرته ، ونقص علمه وهمته حينما نسيَ مصيره المحتم ، فلا يريد هذا التذكير هرباً من هذا الشعور ، كما يتضايق من يُذكر بجرائم سابقة له تهز من مركزه ، ومقامه .

٨ ـ من أشمل المظاهر المؤسفة ضعفُ الشعور بالتميز الإسلامي ، ذلك التميز الذي يشعر في ضوئه المسلم بأنه منفرد بين بني البشر كلهم بقيمة تقصر عنها جميع القيم الموجودة ، سواء لدىٰ الأمم المتحضرة ، أو غيرها ، وذلك لأنه يرتكز علىٰ منهج إلهي يحمل الحق المطلق ، خلافاً للأمم الأخرىٰ ، التي ترتكز علىٰ مناهج وضعتها العقول البشرية .

ودلالة هذا الضعف في شعور التميُّز هو : تفشي العادات والتقاليد الغربية ، (١) في التعامل والتصرفات ، وفي تنظيم الحياة الفردية ، والأسرية والاجتماعية دون امتعاض أو تأمل في مدىٰ انسجامها مع الشرع والتقاليد الاجتماعية الإسلامية أو عدمه ، بل لعلها تكون مجال تفاخر لدىٰ البعض .

٩ ـ ومن أخطر المظاهر قيام عقائد وأنصاب في حياة بعض المسلمين تنافس الإيمان بالله ، والعقيدة في قلب الشخص ، وتتحكم في مشاعره وسلوكه في الحياة ، يرتبط بها همه ، ويبذل لها نفسَه ، ويقوم علىٰ أساسها حبه ، وبغضه ، وولاؤه ، وعداؤه .

١٠ ـ ومما هو جارٍ في الساحة الإسلامية ـ والعربية بالذات ـ وخصوصاً في البيئات التي قوي فيها تيار الصحوة ، وبدأ يزاحم التيارات

(١) بل وغير الغربية من عادات الأمم المختلفة البدائية عن طريق العمَّال والخدم ، والأفلام .

العصرانية التي كانت مستبدة فيها قبل ذلك، دعوة يحاول العصرانيون بطرحها إبقاء مواقع لهم في المجتمع المسلم كي يواصلون تدمير هذا المجتمع من خلاله .

يقولون : إن البلاد فيها إضافة إلى الإسلاميين عصرانيون ماركسيون ووضعيون، ووجوديون . . وهؤلاء مواطنون ومن حقهم أن يبقى لهم تمثيل فاعل في المجتمع ومؤسساته ، وأن يكون لمناهجهم وخططهم اعتبار في مسيرة البلد .

ومن ثم لا تكتفي هذه الطائفة من العصرانيين بإعطاء نفسها حق الاجتهاد في قضايا التشريع، بل تطلب من المسلم أن يحول (عقيدته إلى مجرد رأي للتخلص من التعصب والطائفية) (١) .

ويرون أن رفض إعطائهم هذا الحق احتكار لحق المواطنة عنهم إلى طائفة خاصة هم الإسلاميين .

وإنما ذكرتها هنا ـ ضمن المظاهر ـ لأني أشعر أنها أصبحت قناعة لا عند مروجيها من العصرانيين ، بل عند بعض الصالحين من المسلمين، شعوراً بأن من الإنصاف والعدل التسليم لهم بذلك .

ولا ريب أن هذه خديعة ماكرة، لأن هذا الحق لا يحتكره الإسلاميون لأنفسهم، وإنما هو حق الله الذي جاء به نبيه محمد ﷺ في الكتاب والسنة، وهذا ما لا يسع منتسباً للإسلام، سواء أدخل نفسه في دائرة

---

(١) هذا ما يراه د . محمد الجابري في مشروعه للنهوض بالخطاب السياسي العربي، ويعلق محمود أمين العالم على هذا الرأي بأنه : (دعوة تنويرية وتغييرية واعية ما أشد الحاجة إليها) .
انظر : التراث والحداثة ـ محمد عابد الجابري ـ مركز دراسات الوحدة العربية ، ص : ٣٤٧، ٣٤٨ .

الإسلاميين أو العصرانيين رفضُه وجلبُ البدائل البشرية له، أي: أنه لا مجال للخروج عليه، فضلاً عن تبني خلافه في مجتمع مسلم (١).

١١ ـ التركيز على الحرية في حياة الإنسان وفق التصور الغربي لها، حرية التدين، والاعتقاد، والتعبير = الرأي، والتشريع دون فرض شيء من خارج الإنسان، مع غياب لقيمة العبودية في الإسلام التي هي مرتكز حياة المسلم تصوراً، وسلوكاً (٢). ولهذا كانت ثمرات تلك الحرية تجاوزاً من المرأة المسلمة لتعاليم الشريعة ـ سفوراً واختلاطا وإهمالا للمحرمية في السفر و نحوه ـ، وكان من ثمارها استنكار مؤاخذة من يستهزئ بالدين وعلمائه أو ينكر أحكامه، ومحاولة إلغاء حد الردة وعد شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيدا على الحريات وحجراً على الرغبات.

ولقد كان من آثار هذه النزعة التحررية المتجهة نحو التحلل من الدين والخُلُق أنها أدت إلى تفسخ عائلي، ونفور من قِبَل الناشئة المندفعين معها عن محيطهم ـ أسرهم وجيرانهم والصالحين من بارزي مجتمعهم.

فعلوا ذلك توقيا لرد فعل الجيران، والأقارب تجاه مايمارسونه من

---

(١) هذا في الأمور التي فصل الله ورسوله فيها الأمر، أما القضايا الاجتهادية فدائرة بين المجتهدين، ويبقى ماوراء ذلك من المجالات المفتوحة لكل إنسان في ظل الضوابط الشرعية.

(٢) المجال هنا: مجال عرض للمظاهر، لا معالجة للمسائل، لكني أشير إلى أنه إن وجد الغرب مبرراً لصيحته بالحرية من سطوة رجال الكنيسة باسم الله، فلا مبرر للمسلم في إطلاق تلك الدعوة، لأن تكريمه بالعبودية لله يحرره من أي عبودية لسواه.
بل إن مقام الإنسان في الإسلام أرفع من مقام حرية يُرفع عنه بها مجموعة قيود إنه مقام التكريم ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾، هذه الكرامة التي تقتضي احتراماً له، ورعاية لحقوقه، من قبل دولته ومجتمعه والأفراد من حوله، فأين هذه من تلك؟.

تحلل وما يسيرون فيه من طريق منحرف .

لذا نجد من ثمار الصحوة الإيمانية الآن تقارب الناس والتئام العوائل وشيوع روح الأخوة والاحترام .

١٢ ـ المرأة في المجتمع المسلم عنصر متميز مؤثر والرجل صاحب القوامة في هذا المجتمع يرتد إلىٰ المرأة وتنعكس روحها فيه أمًّا له في صغره وزوجةً له في كبره .

وركيزة السمو وقيمته في المرأة إنما هي في إنسانيتها المتميزة في ماهيتها الأنثوية الفطرية التي بها كانت ميزتها الخاصة ، وفاعليتها الاجتماعية في دائرتها النسائية ، وفي محيط الرجل أيضاً .

ولقد كان من غايات العصرانية خلع هذا الثوب الإنساني عن المرأة لتفقد ماهيتها ، ومن ثم ميزتها الساحرة .

ومن وسائل هذا الخلع محاربة هذه الماهية وتشويهها باعتبارها ـ ويا للانتكاس ـ إزراءاً بالمرأة وتهويناً من شأنها ، ومن ثم سعت الحركات العصرانية في مجالات الأدب والإعلام والسياسة وغيرها ـ سعياً أسهمت فيه المرأة نفسها ـ لكي تجعل المرأة مخلوقاً متحررا من تلك الأنوثة ، رافضا لوظائفها الفطرية .

وإذا كانت هذه الوسيلة خطيرة ، فإن وسيلة أخرىٰ لا تقل خطراً ـ لسهولة انخداع المسلمات بها ـ ، وهي : صرف المرأة إلىٰ تكثيف الاهتمام بالمظاهر الخارجية ، وإعلاء قيمتها علىٰ حساب إنسانية المرأة وأنوثتها الطبيعية ، حتىٰ أصبحت كثير من المسلمات لا ترىٰ نفسها ، ولا تشعر بقيمتها إلا من خلال ما تحيط بها نفسها ، أو تملكه من أزياء ،

ومساحيق وقصات شعر مستعار وغير مستعار، وهيكل جسمي مُعَدَّلٍ بحسب معايير الموضة، وبالعلاجات والأجهزة المنوعة .

وتحولت المرأة الطبيعية إلى امرأة مُصَنَّعة (١)، تفقد تلك الروح الإنسانية التي كانت تمتاز بها المرأة الطبيعية، ومازالت المرأة تندفع في هذا السبيل بتضخيم قيمة شكلها الخارجي، من خلال المجلات المهتمة بتجارة الأزياء ومبتكرات التجميل ونحوها، من مظهريات المرأة (٢) ، على حساب ما يهتم بقيمتها الذاتية في إنسانيتها وموقعها الأسَري العظيم .

١٣ ـ ضعف القيمة العلمية للنصوص الشرعية ـ آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ـ عند بعض الكتَّاب في حركتهم العلمية .

فمقتضى إيمان الشخص بأن هذه النصوص مستمدة من الوحي الإلهي أن يقف عند حقائقها ، ويجعلها معيارا يزن به ما سواها .

لكنّا نجد بعض الكتاب والصحفيين يعالجون قضايا فكرية أو تشريعية بنظرات فكرية، أو استفتاءات اجتماعية ، مع أنها تكون مقررة في النصوص بشكل حاسم .

بل تجد ذكر القرآن الكريم والرسول ﷺ إذا ورد في حديث هؤلاء يرد مجرداً من هالة القداسة التي تربط به ـ القرآن مجرداً من الوصف، ومحمد مجرداً من ذكر نبوته ، ومن الصلاة والسلام عليه .

---

(١) التعبير للأستاذ تركي السديري في زاوية / لقاء ـ صحيفة الرياض ٢/ ١١/ ١٤١٢هـ مقال جميل بعنوان « الشكل » .

(٢) مثل : مسابقات ملكات الجمال ، وفتيات الغلاف والفن والتمثيل، حيث يكون جمال الشكل المعيار المقدَّم للبروز .

١٤ ـ ثم إن البناء الفكري والعلمي بعد أن كان مركزه الذي ينطلق منه هو : الكتاب ، والسنة والحقائق المنبثقة منها ، صار يبدأ من علوم أخرىٰ، ويتأسس علىٰ معارف متنوعة، لكنها ليست شرعية، بل إنها لدىٰ كثير من الشباب تتمحور في صفحات الفن ، والرياضة، ونحوها من التوافه الصحفية، حيث يرتكز الاهتمام الشعوري بها ، والوعي المحتدم عليها مقابل فتور وَقَرَفٍ فيما يتعلق بالجوانب الإسلامية ـ الفكرية .

١٥ ـ كما تجد أن بعض الشباب يتجه في حل مشكلاته ومعالجة أزماته الاجتماعية إلىٰ استشارات غير إسلامية لدىٰ اجتماعيين ،أو نفسيين أو مجرد صحفيين يجمعهم نقص أو عقم كامل من الوعي بالشريعة الإسلامية ومنهجها في بناء الإنسان والمجتمع والعلاقات بين الناس، وصيانة كل ذلك من الفساد وحلول ما يمكن أن يحدث فيه من علل . وصفحات المشكلات في الصحف التي يطلب فيها هؤلاء الشباب الحلول لمشكلاتهم أو تبصيرهم في حركتهم من محرر أو محررة، لا يعلمان من الدين شيئاً يفيض بها الميدان .

١٦ ـ القلق النفسي : كما أن من سِمَةِ هذا العصر : أنه عصر صناعي، كذلك فإنه عصر القلق والاضطرابات النفسية .

وإذا كان الغرب هو مصدر السمة الأولىٰ ، فإنه كذلك مصدر السمة الثانية، وبقدر ما ينفتح للناس من آثار هذا العصر مدنية وثقافة بقدر ما يزيد توترهم وحرج صدورهم .

ولقد تلوثت المجتمعات الإسلامية بهذا المرض ـ مرض القلق ـ الذي

صار يستفحل ويفتك بالنفوس، نتيجة إشاعة الشك والإلحاد والمذاهب الفكرية المتضاربة، والخلاعة الصحفية، والقصص الماجنة، والفن الذي يدور بالناس بين علاقات عاهرة، وتأوهات بائسة، وصراع مادي، وإغراءات آثمة .

وإذا كان الانحراف عن الدين، وضعف الإيمان بالله، وبالقضاء والقدر، وباليوم الآخر، عوامل أساسية في تعمق القلق واستشرائه في حياة الناس ـ الشباب خاصة ـ فإن ما أغرقت به العصرانية مجتمعات المسلمين من ثقافة وفنون وأفكار ساخرة بالدين، مستهترة بالحياة سبب كبير في ضعف الإيمان، وبَعُدْ الإنسان عن ربه، وشيوع الأخلاق الفاسدة التي تمثل مصادر قلق وتوتر في نفس المتخلق بها، حينما تفسد صلته بالله وعلاقته بالآخرين من حوله، من أمثال : الحقد، والحسد، واحتقار الأقل ثراءً، أوجاهاً، وتَسَخُّط المصائب وعدم القناعة .

وممّا يزيد المشكلة تعقيداً : أن هؤلاء المصابين بالقلق ـ والذي تتمثل مبادؤه بالشعور بالفراغ الحاد ـ يلجأون لعلاجه من نفوسهم بأدوية من صيدلية العصرانية ومروجاتها ـ أو على الأقل من إفرازاتها ـ ، كالإدمان على مشاهدة الأفلام السيئة، أو ألعاب الميسر، أو المخدرات، أو الأسفار الآثمة ونحوها مما يزيدهم شعوراً بالتفاهة والقلق، ويكثف ظلمة الدنيا أمامهم، فهم كناقش الشوكة بالشوكة .

ومن المفارقات المحزنة والخطيرة ـ في أمر كثير من هؤلاء ـ أنهم لا يجهلون أن انشراح النفس وسعة الصدر وقرة العين إنما هو بذكر الله والارتباط بكتابه وحسن الصلة به ومناجاته، واتباع هدايته ؛ لأنهم يقرأون كتاب ربهم وسنة رسولهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ولا يمارون

أن ماقرره حق لا ريب فيه ؛ لأن ذلك من بدهيات إيمان المسلم .

إنهم يقرءون أو يسمعون قوله سبحانه : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ . [الرعد ، آية : ٢٨] . ﴿ **طه * ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ . [طه، الآيتان ١ ،٢] . ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ . [الأنعام ، الآية : ٨٢] . ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسه الشر جزوعاً * وإذا مسه الخير منوعاً * إلا المصلين** ﴾ [المعارج، الآيات من ١٩ ـ ٢٢] .

كما يعرفون أحاديث الرسول ﷺ التي تحدد للمسلم المنهج السليم في صلته بربه، ونظرته لهذه الحياة، وتعامله مع الناس بما يجمع شمله، ويملأ قلبه بالقناعة، ويغمر بالسكينة نفسه، ويبدد همه .

كما أنه يقرأ في مقابل ذلك النصوص التي تبين أن الشرود عن الله والتهافت على مساخطه ـ المتمثلة بشباك العصرانية ـ مفضٍ إلى البؤس والتعاسة والقلق، من مثل قوله سبحانه : ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾ [طه، الآية : ١٢٤] .

﴿ **ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء** ﴾ [الأنعام، الآية : ١٢٥] . ﴿ **بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج** ﴾ [ق ، الآية : ٥] . . . إلخ النصوص المتوافرة في هذا .

ولكن هؤلاء ـ للأسف ـ نأت بهم عنها جواذب العصرانية، وزاغت بأبصارهم فعميت عليهم هذا الهداية الواضحة، فأصبحوا عنها معرضين (١) .

---

(١) الخطورة في هذه المفارقة هي : أن الإنسان قد تستخفه الشهوات في حالات الرخاء، فينساق معها مع شعوره بمخالفته للحق .

ولكنه في حالات الشدة والمصائب يركن إلى الطبيب، مع صعوبة ما يقوله على نفسه تاركاً =

١٧ ـ من المظاهر ـ أيضاً ـ الفوضىٰ في الاصطلاح، وتداخل المفاهيم لا عند العامة من قراء المصحف فقط؛ بل عند ذوي الريادة الفكرية .

وهذه عدوىٰ من الفكر الغربي الذي يتسم بتداخل المعاني والمفاهيم لدرجة التعقيد في كثير من ألفاظه الرائجة في ميدان الفكر، ومن خلال قناة العصرانية تسربت إلىٰ الثقافة في البيئة الإسلامية هذه الآفة، سواء تمثلت هذه الآفة في ألفاظ منقولة كلفظ الأيديولوجيا التي راج استخدامها، مع أنها (كلمة معقدة وغامضة، وتطرح كثيراً دون وضوح) (١) . ومثل الديمقراطية والاشتراكية اللتين تتسعان لتطبيقات متنوعة مختلفة .

أو كانت الألفاظ عربية، ولكن ألصقت بها مفاهيم لألفاظ مقابلة في اللغات الأخرىٰ، كالحداثة، والسلفية، والتراث، والحرية، ونحوها في استعمال كثير من المفكرين .

مثلاً لفظة (العروبة) ماذا يقصد بها المفكر العراقي حسن العلوي الذي يطرحها بديلاً للقومية العربية الفاشلة بعد أزمة الخليج .

في مقابلة صحفية معه يؤكد أن مشروع القومية العربية قد فشل تماماً، وأنه المسئول عن المصائب التي حلت بالعراق ومن حوله، ويقدم البديل

= المُهَرِّج رغم إضحاكه، ويأخذ بالعلاج مع مرارته، تاركا المطعوم اللذيذ .

فإذا ما رفض الطبيب والعلاج مع فتك المرض به، وصار يهيء للمرض وسائل فتك أسرع بجسمه فإنه يكون قد انتكس في عقله، بل وفسدت غريزته الحيوانية، وعاد في مستوىٰ دون البهيمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) صحيفة المسلمون، ص : ٩، عدد: ٢٠/ ٢/ ١٤١٢هـ ـ والنص للدكتور سعد البازعي ـ المدرس بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة الملك سعود .

الناجح، منادياً بعروبة العراق، بحيث تصبح العروبة لا القومية العربية هي هوية العراق . ويفسر ذلك بأن القومية العربية تحارب الإسلام، أما العروبة فهي مسلمة .

ومع القلب بين الصفة والموصوف ـ العروبة والإسلام ـ فمازال الكلام قابلاً للفهم، لكنه وهو يؤكد علىٰ ضرورة الالتفاف حول مشروعه يؤكد مخاوفه أن تسبق تيارات أخرىٰ إلىٰ العراق لتحكمه، ويمثل لها بالماركسيين والإسلاميين (١) . فماذا تعني العروبة بصفتها مبدءا ذات منهج ياترىٰ ؟

إن اضطراب المفاهيم خلل فكري يورث بلبلة لدىٰ الناس، وقد يوصل إلىٰ السفسطة والتباس الحق بالباطل؛ ومن ثم التيه والضياع .

وقد نهىٰ الله المؤمنين عن قول (راعنا) حينما ألقىٰ اليهود علىٰ معناها ظلالاً لا يتفق ومقام الخطاب من المؤمنين للرسول ﷺ .

١٨ ـ ومن المظاهر التي تنتج التيه والضياع ـ أيضاً ـ وتورث الناس حالة من التأرجح بين المواقف وفقدان التمييز الازدواجية في التوجيه الفكري، والحركة الاجتماعية بين المتناقضات في القيم والأعمال .

فقارئ الصحيفة يجدها في صفحة تنقد ما تمجده، وتدعو له في صفحة أخرىٰ .

ومثله : سامع الإذاعة، ومشاهد الشاشة، وكذلك الطالب في مدرسته ومع مدرسه، والناشئ مع بيته وأهله، والمواطن مع سائر المؤسسات التي يتعامل معها .

---

(١) انظر : مجلة اليمامة ـ مقابلة مع حسن العلوي ص : ٣٨، عدد يوم ١٥/ ١١/ ١٤١١هـ .

تناقض بين الدعوة والسلوك، بين اللوائح والتطبيق ، بين وضع الإنسان في حال أو موقع عن وضعه في حال، أو موقع آخر .

ما هو الأثر النفسي على الناشيء وهو يقرأ في أعلا صفحة ملونة في صحيفة دعاية حارة لشراء نوع من الدخان مؤكدة المتعة في شربه، ويقرأ في أسفلها تحذيراً ـ حكوميًّا ـ منه ، وبيان ضرره بالصحة .

أو يقرأ في صفحة من مجلة نقداً للعفن الفني الذي أصبح مباءة للمخدرات والسفالة الخلقية، ثم يقرأ في صفحات تالية مقابلات مع نجمات ونجوم الفن وأدوارهم الإنسانية في الارتقاء بالذوق والمفاهيم للأمة، وترفُّعهم عن المتاجرة والربح المادي .

أو يقرأ تحقيقاً عن العوائد الإيجابية لقضاء الإنسان إجازته في ربوع وطنه على نفسه وأولاده ووطنه، ماديًا وخلقياً. ثم يقرأ في العدد ذاته أو في مابعده أن رئيس تحرير المجلة عاد من إجازته التي قضاها في فرنسا ـ مثلاً ـ وأن مسئولا كبيراً طار إلى أثينا لقضاء إجازته هناك بصحبة الأهل والأولاد . . . إلخ . الصور الكثيرة التي تشمل ـ غالباً ـ جوانب الحياة الاجتماعية المتنوعة .

مثل هذا المنهج يجعل الشباب في حالة تيه تختلط فيها معالم الحق بالباطل أمامه، فيفقد حسه الخلقي تجاه الخير والشر ، والطيب والخبيث، وتهون عنده الأمور، وتصبح شخصيته باهتة، لا لون لها ولا طعم ، فلا يبقى إلا شهواته التي تحكمه منحرفةً به نحو الفساد .

الإســلام والعصرانية

عرفنا أن العصرانية في أوروبا حسب نشأتها وعموم مسيرتها تعني : (الاستناد إلىٰ الفكر البشري في ضوء العصر الذي يعيش فيه في وضع نظم الحياة الإنسانية، وصرف الاهتمام الأكبر إلىٰ المطالب المادية، والارتقاءالمدني مع السماح بالتدين الفردي للإنسان في القضايا الروحية، وبعض القيم الخلقية، واعتبار الدين محصوراً في هذا النطاق .

وعرفنا أنها انتهت في تياراتها الإلحادية إلىٰ الكفر بالدين جملة وتفصيلاً .

وقد أشرنا إلىٰ أنه : يمكن للغرب أن يبرر تفلُّته من هيمنة تعاليم الكنيسة بأنها تعاليم وضعها البشر قبل قرون في ضوء الفكر الذي كان يحكم عصرهم ذلك (١) ، فكان المنطق أن يستبدل بها تعاليم قائمة علىٰ فكر أنضج وأكثر تقدماً، ما دام أنه لا مجال لديهم لاتباع وحي معصوم تتمثل فيه الحقائق مطلقة من نسبية الزمان، والأوضاع التي تحكم حقائق ونظريات العقل البشري .

أمّا في العالم الإسلامي : فإن العصرانية ليست نمطاً واحداً يؤمن

---

(١) التأثير البشري في الكتب المقدسة ـ عند النصارىٰ ـ أمر بدهي عند المفكرين والفلاسفة، لا من هم خارج الكنيسة، بل حتىٰ لدىٰ كثير من رجالها وشارحي تلك الكتب، مثل : (وليم باركي) وغيره .
انظر في ذلك ـ المسيحية ـ أحمد شلبي ، ص : ٢١٣، ٢١٥، مواقف من تاريخ الكنيسة ـ رولاند بنيتون، ص :٣٨، ١٠٠، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط يوسف كرم ص ١٠٩ .

بوجود الله وربوبيته، ويرفض تعاليمه التي جاء بها رسول الله ﷺ مقيماً حياته على منتجات الفكر في عصرنا الذي نعيش فيه.

إن للعصرانية ـ في بلاد الإسلام ـ تمثلات عدة:

أ ـ فقد تتمثل في مواقف إلحادية لا تؤمن بوجود الله أصلاً، كالمواقف الوضعية، والماركسية، والوجودية التي يرى أتباعها ـ من أبناء المسلمين ـ أن الاعتقاد بوجود عالَم وراء عالم المادة تغييب للعقل وتخريف غير مقبول.

ب ـ أو مواقف تؤمن بوجود الله وربوبيته، وقد تُظْهِر حبَّه، ولكنها تنكر وحيَه ورسلَه، فلا تسمح للوحي بأي سلطان على حياة أصحابها، كالاتجاه البعثي الذي لا ينكر وجود الله ـ صراحةً ـ ولكنه يرى أن ما جاء به محمد ﷺ ليس وحياً، ولكنه نتاج الروح العربية التي كانت تعمر كيانه استطاع به أن يعالج وضع الأمة العربية في تلك الفترة التاريخية.

جـ ـ أو مواقف تؤمن بماسبق، معترفة بنبوة محمد ﷺ ورسالته، ولكنها تحصر اتِّباع الوحي في نطاق العبادات ـ فقط ـ أو معها الأحوال الشخصية دون النظم الاجتماعية، التي ينبغي أن تُسَيِّرها الدولة وفق المصالح الزمنية المقدرة وفق النظرات العقلية، أو الدراسات الاجتماعية.

ومن مسالك أتْباع هذا الموقف في تقرير موقفهم بَعْثُ الرأي المنسوب إلى الشيخ نجم الدين الطوفي (ت ٧١٦هـ) رحمه الله، الذي يقضي بتقديم المصالح على نصوص الكتاب والسنة إذا بدا أن هناك تعارضاً بينهما (١).

---

(١) انظر: تحديث العقل العربي ـ حسن صعب ١١١، حيث يكرس هذا الرأي.

د ـ أو مواقف تؤمن بالله وبالرسالة، وبكل ماجاء به الوحي من تشريعات حتىٰ في المجالات الاجتماعية .

ولكنها تقف في التلقي فيما يتعلق بهذه المجالات عند حد المبادئ العامة دون التفصيلات التي جاء بها الكتاب والسنة، معتبرة هذه التفصيلات مجرد تكييف وقتي لتحقيق تلك المبادئ في عصر الرسول ﷺ وعصر خلفائه، والعصور المشابهة لها في وضعيتها الاجتماعية .

ومن ثم فلنا وقد تغير عصرنا أن نضع تفصيلات أخرىٰ تتحقق بها تلك المبادئ العامة إقامةً للعدل ونفياً للضرر ورعاية لحقوق الناس . . إلخ ـ مثلاً ـ الشيخ عبد الله العلايلي في كتاب له عنوانه : (أين الخطأ؟) كتب مبحثاً بعنوان : (أبأعيانها أم بغاياتها هي الحدود الجزائية) . يرىٰ أن الحدود ـ الشرعية ـ مرتبطة بغايات هي حماية المجتمع ، وردع المعتدين، وإيقاف الظلمة عند حدهم؛ هذا هو الثابت الذي لا محيد عنه، أمّا أعيان الحدود فلا ضير من استبدالها، مادام البديل يحقق تلك الغايات . مثلاً : السرقة عقوبتها القطع في نص القرآن، لكن وفق هذا الموقف (عقوبة القطع غايتها الردع الحاسم، فكل ما أدىٰ مؤداها يكون بمثابتها) (١) .

وقد يكون الخلل الفكري لدىٰ فئة من أهل هذا الموقف واقعاً في مجالات الفكر التي يدرسونها علم نفس أو اجتماع، أو فن ونحوها، بسبب تلقيها من الغرب، تلقياً مباشراً بحيث تشربوا روح الفكر الغربي في هذه الجوانب مع دراستهم لها ، فيأتون للنصوص الشرعية لا نتزاع

---

(١) آراء نقدية ـ مهدي فضل الله، ص : ٩٢، وانظر : الشيخ عبدالله العلايلي والتجديد في الفكر المعاصر فايز ترحيني ص : ٣٣٦ .

ما يحاولون توجيهه كي يؤيد أفكارها لإقناع أنفسهم أو غيرهم بعدم مخالفتها للإسلام .

ذكر الدكتور جعفر شيخ إدريس : أنه صارح اجتماعاً لرابطة الطلاب المسلمين في أمريكا بأنهم من أسباب تخلف المسلمين ! .

قال لهم : أنتم من ضمن الأسباب ، وأعني : بأنتم الطلاب المتدينين الملتحين أصحاب الثياب القصيرة ، الذين يصلون ويصومون ـ الذين يذهب الواحد منهم سنوات ليدرس علم النفس أو الاجتماع أو الاقتصاد . . . إلخ . دون أن يفكر في معرفة الجانب المتصل بعلمه هذا بالدين .

ثم يقول : نعم أنت في صلاتك وصيامك ودعوتك العامة مسلم ، لكن في العلم الذي ستذهب وتطبقه في العالم الإسلامي أنت دور كايم أو فرويد ، لكن بلحية ، وما إلىٰ ذلك فأنت تخدعني ـ . . أرىٰ أن هذا جانب من العلمانية كنا غافلين عنه . . .) (١) .

هـ ـ أو مواقف ـ دون ذلك كله ـ تتمثل في اجتهادات لتفسير النصوص الشرعية أو استنباط بعض الأحكام أو دراسة بعض القواعد المنهجية ، لكنها تتم تحت ضغط الفكر المعاصر ، فتأتي منحرفة إليه ، مبتعدة عن النصوص الشرعية .

وأكثر من تقع منهم هذه الصورة الأخيرة هم بعض المتحمسين للإسلام من الحاملين لواء الدعوة الإسلامية ، الذين يعالجون في كتاباتهم هذه القضايا الشرعية ، مع أنها لم تقم دراستهم الرئيسة علىٰ علم الكتاب

---

(١) في محاضرة له بعنوان (مناهج العلوم الإنسانية ومشكلاتها) ضمن محاضرات الموسم الثقافي لمركز الملك فيصل لعام ١٤٠٦ ـ ١٤٠٧ هـ ، ص : ١٩٢ .

والسنة أو درسوه، ولكن انفعالهم بالواقع المعاصر غلب على تأثير العلم الشرعي في أفكارهم (١) .

وقد يكون من هؤلاء مفكرون كانوا فيما مضى عصرانيين من الصور السابقة للعصرانية، ثم تراجعوا عن عصرانيتهم تلك نحو مواقف أقرب إلى دينهم (٢) . ومع أن هذه التمثلات تمثل أنماطا متدرجة، إلا أن المتأمل يجد تداخلا بينها لدى كثير من العصرانيين .

تقرأ لأحدهم مقابلة صحفية ـ مثلاً ـ فتدرجه في الموقف الأخير، لكنك تجده في كتاب من كتبه ـ ليس بين ظهوره وبين مقابلته فارق زمني يذكر ـ صريح في اتخاذ الموقف الأول، أو الثاني .

وهذا الاضطراب الفكري، وتناقض المواقف سمة معتادة في مثل دراسات هؤلاء لأسباب كثيرة، من أهمها : ابتعادهم عن مصدر الحق ومجافاتهم له، وهو الوحي الإلهي العاصم من التيه في مجالات التصورات والقيم التي هي مجال بحوثهم . ﴿ **بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج** ﴾ [ق، آية : ٥] . وهذه سنة ربانية تلاحق كل الشاردين (٣) .

---

(١) لعل الشيخ الغزالي في آرائه التي ثارت عليها الرفض يمثل نموذجها .

(٢) يمكن أن يؤخذ د . محمد عمارة كنموذج في بعض كتاباته المتأخرة .

(٣) جرت على علماء الكلام والفلاسفة في العصر العباسي قبل هؤلاء، حيث وقعوا في الحيرة والاضطراب الفكري ـ كما اعترف كثير منهم ـ أمّا المسلم المعتصم بوحي ربه فإن اعتصامه به يورثه يقيناً فطريًا بالحقائق واستقامة على وجهة هذا الوحي المحددة، مّما يجعله يَقِظاً أمام كل فكرة مناقضة لحقائق تلك الوجهة الواحدة، تشمئز منها فطرته قبل أن يُسقطها فكرُه .

ومنها : وجود بقايا من الإيمان في قلوب بعضهم؛ إيمان منكمش منزو، لكنه قد تسري الحياة في بعض أطرافه نتيجة موقف أو حدث أولمحة نفسية، أو فكرية، فيحنون لدينهم ويقتربون منه، ثم يعود إلى الانكماش فيعودون.

ومنها مسايرة الظروف التي تحيط بهم؛ إمّا المجتمع المحيط بهم، أو اتجاه الصحيفة المستضيفة لهم، أو المؤتمر الذي شاركوا فيه، أو جو الصحوة الذي حاصرهم (١).

ومع هذا كله : فإن واقع الأمة المسلمة يشهد في الآونة الأخيرة تغيرات تحولٍ من العصرانية إلى الإسلام تجري ـ غالباً ـ من خلال ارتقاءٍ فكري متدرجٍ، ممّا يبشر بخير لهذه الأمة المسلمة، التي عانت كثيراً وحبست عن بناء نهضتها طويلا .

هذه هي الصورة الفكرية للعصرانية في العالم الإسلامي، وفي مقابلها. فإن مقتضي إيمان المسلم بدين الإسلام أن يصدِّق ويسلِّم بكل ما جاء به وحي الله، المتمثل في رسالة محمد ﷺ الخاتمة والناسخة لما سبقها، في القرآن الكريم، والسنة المطهرة. يصدق بالأخبار؛ سواء في مجال العقيدة (٢)، أو التاريخ، أو الكون والحياة.

---

(١) انظر : نماذج من العصرانيين وأنواعا متفاوتة من أفكارهم العصرانية في :

١ ـ العصريون معتزلة اليوم ـ يوسف كمال .

٢ ـ غزو من الداخل ـ جمال سلطان .

(٢) العقيدة حسب ما هو مصطلح عليه في علم الكلام، وإلا فإن كل ما أخبر الله به يمثل مناطا لاعتقاد المسلم .

ويستسلم لأحكامه في سائر ميادين الحياة ـ في العبادة والأخلاق والتنظيمات الاجتماعية .

ولأن العصرانية تمثل تجاوزاً للكتاب والسنة ، وابتغاء لغير حكمهما فإنها تعدّ تعدياً لحدود الله ، وتُمَثِّل خللاً في إيمان الآخذ بها في أي جانب من تلك الجوانب . ولكن هذا الخلل يتفاوت بحسب هؤلاء الآخذين ، من حيث مقاصدهم ، ودوائر تجاوزهم .

فإذا أردنا أن نضع العصرانية في إطارِ مصطلح شرعي (١) ؛ فإنها تمثل فسوقاً . والعصراني يعتبر فاسقاً (٢) . والفسوق درجات : فقد يكون كفراً أو نفاقاً، كما في قوله سبحانه : ﴿ **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون** ﴾ [السجدة ، آية : ١٨] . وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن المنافقين هم الفاسقون** ﴾ [التوبة ، آية : ٦٧] . وقد يكون ضلالاً كبيراً ، لكنه دون الكفر ، وإن كان أعظم من المعصية التي يقترفها الإنسان نتيجة إغراء لشهوة أو غضب . يقول سبحانه :﴿ **وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان** ﴾ [الحجرات، آية :٧] .

فذكر الفسوق بين الكفر والعصيان ، ممّا يقتضي مغايرته لكل منهما

---

(١) المنهج السليم : هو أن الحكم علىٰ الأقوال والأشخاص يتم من خلال المصطلحات الشرعية فحسب دون المصطلحات المولَّدة التي لم تُضبط بالتحديدات الشرعية .
انظر : الجواهر النقية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، ص : ١٢ .

(٢) العصراني : هو الشخص الذي اتخذ العصرانية منهجا له ، أو حمل أفكاراً كثيرة منها ، أو دعا إليها ؛ أمّا شخص تحدث منه فلتات عصرانية محدودة فإنه لا يسوغ وصفه بها ، وإن أُدين ما اقترفه من فلتات ، فقد قال الرسولﷺ لأبي ذر حينما فلتت منه نعرة عصبية تجاه بلال : « **إنك امرؤ فيك جاهلية**» ، صحيح البخاري ـ كتاب الإيمان ، ص : ٢٢ . ولم يقل ﷺ إنك أصبحت جاهلياً .

للعطف، ويفهم منه بحسب الترتيب وسطيته بينهما .

وهذا هو ما يمثل له العلماء بكثير من البدع، وأنواع من الشرك الأصغر . وقد يكون معصية صاحبها عاص، مادام يعتقد حرمة ما يفعل من مثل قوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان** ﴾ [الحجرات، آية : ١١] .

بل قد يقع بعض المسلمين في العصرنة نتيجة اجتهاد ناقص خاطئ، تميل به نفسه فيه إلىٰ مجاراة العصر، فيما لا يتسق مع دلالات النصوص ومقاصد الشرع، مع ظنه أن يخدم بذلك الإسلام .

والمواقف العصرانية السابقة لا تخرج عن دوائر الفسوق المذكورة، كل موقف بحسب الدائرة التي يدخل تحتها . أمّا الأثر العملي لمعرفة الحكم بشأن العصرانية، فإن له جانبين مهمين :ـ

١ ـ جانب يتعلق بالأفكار العصرانية من حيث إن العلم بحكم الإسلام فيها يحدد خطورتها علىٰ الإيمان، وبالتالي يكون هذا العلم أساساً للتحصين ضد تسربها وإفسادها ومنطلقاً للنصح والدعوة لمن قد ينخدع بها .

٢ ـ وجانب يتعلق بحاملي هذه الأفكار ليقيم المسلم ولاءه علىٰ ميزان شرعي سليم، دون إفراط أو تفريط؛ لأن الأفكار كلما فحشت في الشرع كمّا وكيفا كان نصيب حاملها من البراء أكبر، وبالمقابل كلما تخفف منها وتحسن ارتفع معدل الولاء له .

وليعي المسلمون ـ أيضاً ـ معسكر هذا الاتجاه ليتعاملوا معه، بما يتناسب مع حجمه، ومستوىٰ أصحابه، من حيث فكرهم، ومن حيث قربهم من الإسلام، أو بعدهم عنه .

العصـرانيـة والعصـرية

يفترض كثير من الكتاب الإسلاميين الذين يعالجون قضية التفاعل بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي في العصر الحديث تساؤلا في ذهن القارئ الذي ينتهون به إلىٰ أن ركونه إلىٰ الفكر البشري ـ الذي تمثله الآن حضارة الغرب ـ علىٰ حساب الوحي الإلهي ولو شيئا قليلاً خطر علىٰ إيمانه يوشك أن يمحقه، وأن اعتصامه بالوحي في مقابل ذلك الفكر هو الموقف السليم إسلاميًّا .

هذا التساؤل هو : هل معنىٰ ذلك أن مقولة زكي نجيب محمود السابقة في كون التزام الدين يقتضي الكفر بالحضارة المعاصرة والبعد عنها صحيحة ؟

السؤال بصيغة عملية ، ما الموقف السليم الذي ينبغي أن يقفه المسلم تجاه الفكر المعاصر في أوجهه المتعددة؟ .

والإجابة المجملة ـ هنا ـ هو : أنه ينبغي للمسلم ألا يستدبر هذه الحضارة منسحبا من الحياة؛ بل يتفاعل معها، ولكن من خلال إسلامه، بحيث يجعله معياراً يزن به نتاج الغرب فيقبل أو يرفض، أو يقوِّم ما كان قابلا للتقويم .

بعض الباحثين يسمي ذلك بالموقف النقدي مقابلاً لموقفي الأخذ الكلي والرفض الكلي ، كأبي الحسن الندوي، وبعضهم يسميه بموقف الثقة بالنفس، كالأستاذ عبدالكريم عثمان، وبعضهم يسمي ذلك بالعصرية مقابلا للعصرانية، كالدكتور السيدالشاهد، الذي يجعل

العصرية مشيرة إلىٰ تمسك المسلم بدينه الإسلامي جملة وتفصيلاً، دينا ودنيا، ولكنه يتفاعل مع واقع عصره أكثر من العازفين عن ذلك (١) .

ومع هذا فينبغي أن نعلم أن هناك من يطلق لفظ « العصرية» علىٰ مضمون العصرانية التي جرىٰ الحديث فيها، كيوسف كمال في كتابه (العصريون معتزلة اليوم) .

ولا أرىٰ حاجة إلىٰ التوسع في هذه المسألة؛ إذ المقصود التنبيه عليها فقط، بحكم صلتها بما نحن فيه . لكني لابد أن أشير إلىٰ نقطتين : ـ

أ ـ أن الموقف المطلوب من المسلم تجاه الحضارة المعاصرة يتجاوز الموقف السلبي المقتصر علىٰ إصدار أحكام الحل والحرمة، والصلاح والفساد، إلىٰ موقف إيجابي يُسهم فيه المسلم بترشيد الحياة البشرية في جوانبها الحضارية الشاملة، تعديلا لمعُوجِّها، وتقديما للبدائل الصالحة، وكشفا لإخفاق العناصر الفاسدة في تحقيق سعادة الإنسان . سواء كان ذلك في نطاق الدراسات الإنسانية، أو النظم الاجتماعية، أو التطبيقات المدنية .

ب ـ أن العنصر الأساسي الذي يعي به المسلم ما ينبغي القيام به تجاه التحديات والمعروضات أمامه هو الفقه في الشريعة، الذي يزرع في

---

(١) انظر : مجلة التوباد ـ عدد : محرم ١٤١٠ هـ، ص : ١٥٠، وكذلك الصراع بين الفكرة الإسلامية، والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية للندوي، ومعالم الثقافة ـ عبد الكريم عثمان، ص : ١٦٣ .

كيان المسلم معرفة صحيحة بالمواقف المطلوبة، واندفاعا حركيا لتطبيق مقتضىٰ تلك المعرفة .

ولهذا نجد أن جيل الصحوة استطاع رغم السنين القصيرة ومحدودية الإمكانات استثمار النتاج الحضاري لخدمة الدين ومصالح الأمة، كما استطاع البروز في ميادين التأثير ومجالات العلم التي تمثل قوام الحضارة المعاصرة بما لم يستطعه العصرانيون رغم إمكانياتهم الزمنية عبر عقود .

*** المساحة الغائمة :**

قضية التفاعل مع الثقافة الغربية لم تعد في الآونة الأخيرة دائرة بين عصرانيين يعلنون أولوية هذه الثقافة علىٰ ما يخالفها ولو كان إسلاميًا ، وبين إسلاميين يأخذون بضد ذلك .

لقد تغيرت وضعيتها وصارت هذه القضية تدور في مساحة غائمة بعد ذلك الوضوح، أو هكذا يتصور البعض . وفي هذه المساحة يقوم جدل بين جيل الصحوة الإسلامية والتيارات الأخرىٰ .

ـ تلك التيارات تتهم جيل الصحوة بأنه يطالب بالنهوض ، جاعلاً من أسسه تحرر المسلمين من الغزو الثقافي الغربي، وأنه يبالغ في تصوير التحريف الثقافي ويربطه بجميع مظاهر الثقافة الغربية في مجتمعاتنا، وأن الحركات الإسلامية (في معركتها من أجل السلطة تبنت مواقف معارضة للأنماط الثقافية الغربية الحديثة، ووعدت جماهيرها بالقضاء علىٰ التحريف الثقافي، وإحياء الثقافة الإسلامية، ولكنها لم تحدد معنىٰ التحريف الثقافي، ولم تضع برنامجاً واضحاً للإحياء، وقد تجد صعوبة

دائمة في تحقيق ذلك ؛ لأن منطلقها السياسي الأصلي لم يؤسس على معارضة الاقتباس الحضاري) (١) . وأن غاية ما عند هؤلاء الإسلاميين (التأكيد على أن الإسلام فيه كل الحل ، فيه كل شيء ومن أجل ذلك فليست لعروض الإسلاميين وكتاباتهم في الثقافة المعاصرة وعنها قيمة معرفية) (٢) .

ـ وجيل الصحوة يرى أن تلك التيارات رغم إظهار بعضها أن حداثتهم وعصرانيتهم تهدف إلى تفاعل ثقافي مع الغرب يأخذون عن طريقه مالدى الغرب من بنىً ثقافية نافعة ، وغير مخالفة لمنهج الإسلام وقيمه . إلا أنهم لم يحددوا منهجية التفاعل ، ولا الأسس التي تحكمه ، ولا تلك القيم التي لن يقبلوا مخالفها . والحق أن هناك فارقا بين الطرفين : ـ

فالاتجاه الإسلامي أو جيل الصحوة وإن لم يقدم تفصيلا بكل جوانب الثقافة محددا رؤيته في هذه الجوانب ومنهجه إزاءها .

إلا أنه بحكم خاصيته ـ التي هي الإسلام ـ الذي يمثل ـ مبدئيًا ـ قاسما مشتركا بين الطرفين ـ يقدم مبدءاً ذا خطوط منهجية وموضوعية واضحة ، من اليسير حتى على تلك التيارات التي لا تعد نفسها إسلاميةوإن كان

---

(١) مجلة اليمامة ٤٢ ـ ١١/ ٧/ ١٤١٢هـ ـ مقال التحريف الثقافي والإحياء ـ للدكتور عثمان الرواف .

(٢) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي (مرجع سابق) ، ص : ٢٧٧ ، ٣٥٣ ، وانظر في الكتاب نفسه البحوث الثلاثة عن (الصحوةالإسلامية والثقافة المعاصر) للجابري وهشام جعيط ، ورضوان السيد ، والمداخلات عليها .

أصحابها مسلمين، إذا وعوها إدراك المقبول من غيره في ميدان التفاعل الثقافي إسلاميًّا . المبدأ هو (أن الإسلام متمثلاً بالقرآن الكريم والسنة الشريفة هو : المعيار لتقويم الثقافة البشرية المعاصرة) (١) .

أمّا الخطوط الموضوعية والمنهجية فتتمثل في الأصول الإيمانية والأحكام الشرعية .

ـ فالأصول الإيمانية بما فيها أركان الإيمان الستة التي على رأسها التوحيد ـ توحيد الله بأفعاله وأفعال العباد ـ بتفصيل ما تقرر في القرآن والسنة عن كل منها (٢) .

ـ وأحكام الشرع سواء في المجالات العقدية أو الخلقية أو النظم الاجتماعية بما تقرر لها في القرآن والسنة من عمومية زمانية ومكانية وإنسانية ، ومن ارتباط مصلحة البشر بتطبيقها، ومن كونها علامة الإسلام الصحيح ، . . . إلخ .

كل ذلك ممّا لا يجهله عامة الناس فضلاً عن المثقفين ـ وهو : مايسمى « المعلوم من الدين بالضرورة » ـ يعتبره جيل الصحوة ميزان تقويم للوارد الثقافي ؛ بحيث إن جاء مناقضاً له حائداً بالناس عن تلك الخطوط يكون بداهة تحريفاً ثقافيا ، وما انسجم معه ، أو لم يخالفه فإنه يدخل دائرة المشروع .

---

(١) وغير المعاصرة من الثقافات البشرية حتى ثقافة المسلمين أنفسهم .

(٢) مثلاً : الإيمان بالكتب يشمل الإيمان بأن الكتب السابقة قد حُرِّفت ، وأن أهلها قد ضلوا، وأن القرآن محفوظ من التحريف، ومنزه عن الباطل . والإيمان بالرسل يدخل فيه الإيمان برسالة محمد ﷺ بما ورد لها من خصائص ـ كنسخها لما سبق ، وختمها للرسالات، وانحصار الدين الصحيح في اتباعها ، وعموميتها للناس ـ . . إلخ .

وتبقىٰ بعد ذلك عناصر من الوافد الثقافي لا يستطيع تحديد مقامها هؤلاء ـ من خلال المعلوم من الدين بالضرورة ـ ولابد فيها من اجتهاد ذوي التمكّن العلمي والفكري ؛ علماً بالشرع ، ووعيا بعناصر الثقافة البشرية ، وقد تتفاوت الاجتهادات فيتسع الأمر في ذلك .

ولكن عناصر المُحتاج إلىٰ الاجتهاد قليل بالنسبة لمساحة الوافد الثقافي الواسعة . والناظر في واقع الصراع القائم بين جيل الصحوة والفئات الأخرىٰ ، يجد أنه دائر ـ في غالبه ـ في تلك المساحة التي يتفق علىٰ معرفتها عموم المسلمين خاصة ، المفكرين ، والمثقفين .

هذا بالنسبة لجيل الصحوة (١) . أمّا التيارات الأخرىٰ : فإذا أخرجنا منها التي ما تزال تحارب الإسلام ومبادئه ، فإن الآخر من تيارات الوطنية والقومية والحداثة ـ . . . إلخ . التسميات التي تُظهر احترام الإسلام ـ بالرغم من إعلانها عدم محاربة التراث ، وأنها لا تأخذ من الغرب ما يتناقض مع القيم الإسلامية ، وأنها تريد تمحيص ما عند الغرب لأخذ الصالح فقط من ثقافته . . . إلخ .

ـ بالرغم من هذا ـ فإنها لم تحدد عناصر هذا التراث المعتبر لديها ، لا تلك القيم ، ولا ميزان تحديد الصالح من الطالح في الوافد الثقافي ، فإذا ما حاكمهم جيل الصحوة إلىٰ مالديه من ميزان ، قالوا : هذا

---

(١) جيل الصحوة هنا ، عَلَم علىٰ اتجاه ، وهو الاتجاه الوسطي الذي يتحرك ذووه في الواقع باتزان بين علم شرعي ، ووعي واقعي يقوم عليهما منهجُ حركة . وعليه : فإن وجود أفراد ، أو جماعات تأوي إلىٰ هذه الراية ، وهي لا تُمثّل هذا الاتجاه ـ إسلاميًا ـ إنْ بالغلو أو بالتفريط ليست في حسباننا .

ميزانك، لا ميزاننا، فإذا طلب ميزانهم كان عباراتٍ فضفاضةً، لا تحديد تحتها. ومن ثم فقد يقبلون أشياء في الثقافة الغربية، لا تنسجم مع الكتاب والسنة، ولا الأصول الإيمانية، ولا الأحكام الشرعية ـ وهي: معيار جيل الصحوة ـ كما لا تنسجم مع القيم الإسلامية إذا حُدِّدت بأنها القيم التي تقررت في النصوص الشرعية، ولا مع المصالح إذا كان ضابطها قائماً على مقاصد الإسلام وأحكامه ـ والمُفْترض أن هذا معيارهم الذي يزعمون ـ.

ولذا نجد أن عبارة (في إطار القيم الإسلامية، أو في ظل تقاليدنا الدينية) التي تُذْيَّل بها الدعوات التي تَطلب أو تقترح استحداث برامج أو أوضاع اجتماعية وثقافية منقولة من الغرب ـ نجدها ـ أصبحت مجال تندُّر بل واستهجان كما كان الشأن في عبارة (مذبوح على الطريقة الإسلامية التي وضعت على أغلفة صناديق السمك، أي: أنها شيك لا رصيد له.

والسبيل الأمثل لتجاوز هذه الأزمة في واقع المسلمين بين جيل الصحوة والتيارات المقابلة ـ بالنسبة لتلك التيارات ـ هو: أن تدرس الإسلام من أجل أن تعي حقيقته الإسلامية.

أي: تعرف كيف يتحقق الانتماء للإسلام من شخصٍ، أو من ثقافةٍ. إن سليم النية والهدف من أتباع تلك التيارات يبدأ غبشُة في رؤيته للأشياء والأفكار في علاقتها بالإسلام من هذه النقطة، بحيث يتصور الإسلامية إمّا انتساباً قوميًا، أو قاعدة تراثية، أو مجرد مشاعر قلبية نحو الله، وشخص الرسول ﷺ، وبعض الأماكن المقدسة، أو بعض أصول عَقَدية فكرية، أو مجموعة من الشعائر التعبدية... ونحو ذلك من

التصورات التي استلهموها من الواقع، أو من دراسات اجتماعية وتاريخية لبعض الأديان.

والحل: أن يعرفوا الإسلامية = معنى إسلام الشخص، أو إسلامية الثقافة، من خلال الإسلام نفسه = الكتاب والسنة.

فإذا عرفوا ذلك سَهُل عليهم تمييز ما يشوش على هذه الإسلامية من الثقافة الوافدة، ممّا لاينسجم معها.

وهنا تتبدد الغيوم، ويكونون بين خيارين: إما الاندراج في مسلك مقابليهم بتحكيم الإسلامية في الوافد الثقافي (١)، وإمّا المصارحة باستعدادهم للتضحية بإسلاميتهم جزئيًّا أو كليًّا لحساب هذا الوافد.

ـ هذا بالنسبة لتلك التيارات، أمّا اتجاه الصحوة: فالحديث بشأن موقفه المطلوب في المبحث التالي.

---

(١) هذا إذا حدث يمثل تحولا إلى الضد من مواقفهم، وقديحدث هذا إذا وعوا حقيقةً أخرى وعياً إيمانياً شعوريًا، وهي أن الإسلام ـ الذي تقوم عليه إسلامية المسلم وإسلامية ثقافته ـ مُنزَّل من عند الله، متعالٍ على الزمان والمكان ونسبيات الفكر البشري، مّما يُقر في خَلَدهم أنه الحق، وأن ما يضاده باطل، مهما كان مصدر هذا المضاد، تمكنا ونضجا، وبهذا يتخطون مشكلة أخرى لهم مع جيل الصحوة، حيث ينتقدون هذا الجيل بأنه لا يقدِّم مذهبيته ومنهجه، على أنه أطروحة قابلة للنقاش والأخذ والرد والامتزاج مع الأطروحات الأخرى، وإنما يقدمها على أنها أيديولوجية إلهية متفوقة على كل أطروحة بشرية قائمة أو ستقوم؛ ومن ثم فدورها دور نضالي إحّلالي تجاه الأفكار البشرية المقابلة، لا تركيبي وامتزاجي معها.

انظر: الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي(مرجع سابق)، ص: ٣٤٧. وأساس هذا النقد لديهم تعاملهم مع الإسلام كغيره من الثقافات والأديان بصفته إرثا بشريًّا قابلا للخطأ والصواب: لا وحيا إلهيًّا قطعي الحقائق، وهذا التصور ناتج ـ بدوره ـ عن الحلقة التي تشكل داخلها تفكيرُهم وهي: الفكر الغربي ـ العصراني ـ الذي لا يتجاوز بالقيمة العلمية ـ لتعاليم الدين مستوى الفكر البشري.

الموقف من العصرانية

الذي يعرف الإسلام على حقيقته، ويعرف العصرانية بصفتها اتجاها فكريًّا في العالم الإسلامي لا يماري بأنها :

هراء؛ لأنها تفتقد أي أساس لها في المجتمع المسلم الذي أغناه الله بمورد الوحي لإقامة حياته، وتحديد وجهته الحضارية، فالمروِّج لها فيه كمستبضع تمراً إلي أهل خيبر، بل دون ذلك أنه كالذي يسوّق أطرافاً صناعية بين قوم أصحاء، طامعاً في إغرائهم بها، كي يبتروا أطرافهم السليمة، ليستعيضوا بها مصنعاته .

وأنها : ضلال؛ لأنها مناهج مخالفة للإسلام الحق، وليس بعد الحق إلا الضلال . وأنها عامل سقوط وتخلف للمجتمعات الإسلامية ؛ لأنها ضلال ، والضلال ليس أساس ارتقاء وعلو (١) .

وهنا : يَرِد سؤال . إذا كان الأمر بهذا الحسم الصريح المبدئي، فكيف تُرَوَّج العصرانية وتَرُوج في البيئة الإسلامية ؟

والجواب : أن لذلك أسباباً لعل من أبرزها :

---

(١) يقول الدكتور محمد يحيى : (إن العلمانية محاولة فاشلة لفرض التخلف في العالم الإسلامي بإبعاد الدين عن الحياة، وحصاره في الزوايا والموالد، وهي نفسها بتقليدها الكامل وتبعيتها للغرب نوع من التخلف والجمود العقلي، والقعود عن الابتكار واكتفاء بقوالب جاهزة، وأفكار ماتت في الغرب نفسه، ونقلت عنه في أشكالها البدائية . . .) .
ورقة في الرد على العلمانية د . محمد يحيى، ص ١٠١ .

ـ الوعي بهذه الحقيقة ـ حقيقة أن العصرانية عامل تدمير للمسلمين وإبعاد للإسلام عن حياتهم ، ومن ثم ترويجها من قبل أعداء الإسلام في الداخل والخارج لتحقيق نتائجها المدمرة .

ـ الجهل بالإسلام نتيجة تصوره من خلال واقع المسلمين ، أو من خلال كتب مشوهة له . سواء من كتب الفرق القديمة ـ الضالة ـ ، أو من كتابات المستشرقين وتلاميذهم .

ـ الانخداع بالعصرانية وإحسان الظن بها ، وتصور إمكانية التلفيق بينها وبين الإسلام في حياة المسلم . أمّا الموقف الذي أرىٰ ضرورة تبنيه اجتماعيًا تجاه هذا التحدي العصراني القائم في البلاد الإسلامية في هذه الآونة من الزمن ، فإنه يتمثل باختصار فيما يلي : ـ

١ ـ نشر العلم الشرعي :

علم الكتاب والسنة هو إسلام المسلم ، به تتشكل شخصيته الفردية وتنضبط حياته الاجتماعية ، وبه يتحصن من عاديات الهدم والفساد .

ولأن العصرانية عامل هدم للبنية الإسلامية ، لحياة المسلم الفردية والجماعية . لذا كان لابد من نشر العلم الشرعي ـ علم القرآن والسنة ـ بكل الوسائل الممكنة ، بحيث يكون هذا النشر شاملاً وعميقاً ، شاملاً من ناحيتين .

* من ناحية الناس بحيث يغطي الناشئة والعامة ، وذوي الحرف المهنية والمهن الحرة والتخصصات العلمية إنسانية ومادية .

* ومن ناحية مجالاته بحيث يشمل الجوانب الحياتية المختلفة في

مسائل الإيمان والعبادات والأخلاق والنظم الاجتماعية ـ اقتصادية وسياسية وأسرية، وملاحقة الوقائع الحية في كل جانب .

وعميقا من ناحيتين أيضا :

* من ناحية تجاوزه المباديء الأولية التي تلقَّن لتلاميذ الابتدائي والمتوسط إلىٰ مدىٰ أعمق وأركز ؛ لأن غير المتخصص بالعلم الشرعي في وقتنا هذا ليس كالعامي فيماغبر من السنوات، لّما كان معزولا في مزرعته، أو مع غنمه وأبقاره، أو في قريته، حينما كان مصدر ثقافته لا يتجاوز شيخ قريته، أو مجالس سمرها التي لا يتجاوز المشاركون فيها مستواه .

إن صنوف الفكر ـ الآن وألوان الثقافات أصبحت تتخطف الإنسان من كل جانب بالصوت، والصورة والكتابة ، ومغريات المدنية كلها أو بعضها . تبادره في البيت، والشارع ، والسيارة، والبقالة، ومكان العمل، وغير ذلك . فلابد من الارتقاء بثقافته الشرعية، حتىٰ تكون مهيمنة علىٰ هذه المعروضات .

ومن ناحية أسلوبه الذي ينبغي أن يكون كفيلا بتحقيق فاعلية المادة ـ وهذ العلم الشرعي ـ في نفس المسلم بأن يجمع هذا الأسلوب بين الوضوح والمنطقية والحيوية، بمعالجة الهموم الكبرىٰ للمسلم في ميدان الثقافة، وأن تتوفر فيه خصائص السبك العلمي الواعي لواقع الفكر القائم .

باختصار ينبغي أن يُحقق العلم الشرعي:

ـ تصوراً إسلاميًا شاملا واضحا، يجعل أصحابه ذوي وعي حاضر بمداخل العصرانية، وذوي تمييز لما يعترضهم من شبه .

ـ وإيمانا دافقا يجعل صاحبه مرتبطاً بالله، حذراً على دينه، يقظ الضمير أمام وساوس العصرانيين، حتى فيما لا يعرفه على وجهه الصحيح؛ بأن يحيك في صدره، ويتلجلج في قلبه ممّا يجعله آيبا إلى الحق دائما، فإذا غازله عصراني مباشرة، أو من خلال وسيلة إعلامية، كان هذا الإيمان الدافق ـ حتى ولو فاقه العصراني علميةً وفكراً ـ لهيبا يُحْرِق سهام هذا الحاقد، ودرعا يصونه منها .

ولابد قبل هذا كله أن يكون العلم ذاته مؤصلاً تأصيلاً شرعيًا صحيحا بأن يكون مرتكزه الكتاب والسنة ارتباطا بغايتهما، وانضباطا بمناهجهما ودورانا على موضوعاتهما دون جنوح إلى التزايدات التي ألحقت بالفكر الإسلامي الأصيل، ونسبت إليه لمجرد أنها صدرت عن منتسبين للإسلام، أو كونها تبحث مسائل إسلامية .

إن من الجناية على المسلمين وضلال الرأي في مواجهة الفكر العصراني أن يقابل بعقليات المتكلمين والفلاسفة ـ السابقين ـ وفنائيات التصوف، وآراء بعض المنتسبين للعلم في العصور المتأخرة ـ عصور انحسار الفكر الإسلامي ـ المبتعدة عن النصوص الشرعية، إن السبيل الوحيد هو : ربط المسلمين بهدي ربهم ـ القرآن والسنة المطهرة ـ وتفهيمهم إياه وفق المنهج السليم المرتكز على طبيعة لغة هذا الهدى، وفهم الجيل الذي تلقى هذا الهدى من المبعوث به ﷺ وهم صحابة رسول

الله ﷺ الذين كانوا كما أخبر عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ (أبرَّ الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا) (١) .

٢ ـ مواكبة الحياة المتدفقة والمبادرة إلى الطموحات المشروعة :

الحياة المعاصرة تفيض وتطفح في كل جوانبها، في تراكماتها الفكري، وفي قيمها الاجتماعية، وفي مبتكراتها المادية .

وهذا التدفق في كافة جوانبه مصبوغ بثقافات منوعة، ولابد لكي يحفظ الإنسان توازنه فوق موجاتها من أن يقوم الفكر الإسلامي بهذه المواكبة وفق مسالك كثيرة نشير إلىٰ بعضها :

أ ـ حركة تقويم مبادرة لكل ما تفيض به هذه الحياة من قضايا لتقرير مدىٰ ملاءمته للإسلام من عدمه .

ب ـ حركة نقد للفكر العصراني بدرجة تفوق منهج عرضه علميًّا .

جـ ـ إيجاد البدائل الصالحة النافعة للمحرمات التي تغري بها العصرانية الناس، وتتسلّل إليهم من خلالها .

ومعروف الدور الكبير الذي قدمته الأشرطة في ميدان الدعوة والإصلاح، والأناشيد الطيبة، مقابل ما كانت الأشرطة مقصورة عليه قديماً من محرمات .

مثلاً : القصة من أخصب طرق الدعوة المؤثرة وغير المباشرة، لهذا ركز عليها العصرانيون كتابة وترجمة، حتىٰ بلغت نسبة القصص

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ـ تحقيق : التركي والأرناؤوط (٢/ ٥٤٦) .

المترجمة بين كل ما ترجم إلىٰ العربية في بعض سنوات العقد السابق أكثر من ٩٠٪ . وغالب المجلات لا يخلو كل عدد منها من بضع قصص تتركز ـ غالباً ـ علىٰ الجنس أو الجانب المادي ، أو بعض النزعات الإنسانية الهابطة .

ورغم اهتمام بعض الإسلاميين بهذا ، إلا أن الأمر يحتاج إلىٰ جهود منوعة ؛ خاصة من فئة الشباب ذوي المواهب المتفتحة . ومثل القصة : الشعر ، والنقد . . . إلخ .

د ـ الحركة الإعلامية :

ولا أقصد بها مجرد المشاركة الفردية في استغلال وسائل الإعلام المتاحة ـ مع أنه لاشك مطلوب ومهم ، ولكني أقصد أن تكون هناك جهود إعلامية ، وتكون مشتركة بتفاعل متداخل ، بحيث تكون قضية من القضايا همّا مشتركا لكل من لديه جديد يقدمه فيها ، حتي يكون لها وقع في الحياة الاجتماعية ، وحتي تنضج في أفهام الناس .

إن كثيرا من العصرانيين يمارسون هذه الحركة ، وقد استطاعوا أن يشغلوا الرأي العام بكثير من قضاياهم ، وأن يُمْلوا عليه تصوراتهم لها .

يطرح الواحد منهم قضية في الصحافة ، فينقدها آخرون في صحف أخرىٰ ، أو أعداد لاحقة ، ثم يُعقِّب عليها أو علىٰ النقد سواهم . . وهكذا ، حتىٰ يهتم بها الناس وقد تشغل أحاديثَهم ويسائل بعضهم بعضاً عنها .

وأولىٰ بأهل الخير والتقىٰ والدعوة إلىٰ الله من القادرين أن يمارسوا هذا العمل ، وأن يحولوا اهتمامات الناس من تلك التي يسوقهم إليها العصرانيون ، أو يلجئهم إليها الفراغ إلىٰ اهتمامات ينتبه بها الغافلون ،

ويعود الشاردون، ويفهم الجاهلون، ويرتفع مستوىٰ إسلامية المسلمين .

هـ- استثمار المنحىٰ العاطفي عند المسلمين في استنقاذهم من كيد العصرانية .

- بمثل الكشف عن الأصول التي استمدت منها .

- والإشارة إلىٰ الراجعين إلىٰ الحق من العصرانيين .

- وكشف مراوغاتهم الثقافية، فقد كانوا - مثلا - يزعمون أنهم لا يحاربون الإسلام، وإنا يقاومون المواقف المتزمتة للرافضين لنتاج المدنية المعاصرة والمعارف الحديثة ، وهم الآن أمام جيل متفوق في المعارف العلمية تسمو به طموحاته لبناء حضارة أمته، وهو جيل الصحوة ولكنهم ما فتئوا يحاربون هذا الجيل وينتقصونه، ويشوهون سمعته أمام المجتمعات ولدىٰ الحكام .

- وبيان زيف قناعاتهم بأسسهم الفكرية، من خلال التقلبات التي لا يستقرون فيها علىٰ حال؛ سواء علىٰ مستوىٰ التيارات الفكرية والنظم المتأرجحة بين اليسار الاشتراكي واليمين الليبرالي .

أو علىٰ مستوىٰ الرواد ، وحسبنا هنا مثالا ما حدث من الدكتور عابد الجابري في تبريره صنيع البعث في الكويت، ناقضا بذلك أطراً فكرية ركزها في بلاد المغرب، ودعا إليها كثيرا في المشرق قبل أن ينسفها تماماً (١) .

(١) وقد كانت الصدمة لبعض مفكري الخليج من مواقف رواد الفكر والأدب - العصرانيين - من أزمة الخليج التي أسقطوا بها مقولاتهم في الحرية والديمقراطية ونحوها - كانت من الشدة بحيث دعت الدكتور حسن الإبراهيم إلىٰ دعوة هؤلاء - عبر صحيفة القبس إلىٰ الانتحار ؛ لأنهم سقطوا .

و ـ ومع الاتجاه الكشفي للزيف لابد من حركة بنائية موحدة الجهود ومبرمجتها، حتى تستطيع بناء الجسم الإسلامي بعد تدمير العصرانية له ـ بناءه ـ في مجالات الفكر والروح والنظم والتأثير الحضاري .

ز ـ الحوار مع العصرانيين ـ خاصة من أبناء المسلمين ـ ، ولا أقصد بالحوار ـ أساسا المطارحات الفكرية حول المسائل الجزئية من قضايا المعرفة أو الدين . إن الذي أقصده هو : أن يقترب منهم القادورن من الدعاة لتصور حقيقة موقف كل منهم .

فقد يكون منهم من لايقصد عداءً للإسلام، وإنما سخَّر ذكاءه لوجهة تنسجم مع مزاجه أكثر من انسجامها مع قناعته، فلم يجد له موجِّها رفيقا يعود به إلى درب الصواب . وقد يكون منهم أتباع لا يفقهون حقيقة مواقفهم وخطورتها . وقد يكون منهم ذوو طلب للحق ورغبة في التوصل إلى خير مما هم فيه .

وإن كان قد يوجد فيهم معاندون، متمردون راغبون عن الحق بعد علم ويقين، وبعد تصور واقع الشخص الفكري تمارس معه الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

ح ـ المشاركة الإيجابية في المؤسسات الاجتماعية؛ سواء كانت رسمية أو أهلية، كالنوادي والجمعيات، والهيئات الخيرة ونحوها، لا من أجل التعرف على الناس ودعوتهم من خلال هذه المؤسسات فحسب، وإن كان هذا خطوة أولية مهمة؛ بل من أجل المنافسة في تسخير هذه المؤسسات وصياغتها، حتي تكون في أهدافها ، وبرامجها، ونشاطها مركزا من مراكز الدعوة بدل أن تبقى مهملة لا حياة فيها، أو ميداناً مسخراً فيما يضر الأمة ولا ينفعها

ومع ذلك فينبغي الحذر من المؤسسات المشبوهة أو المعروفة بانتماءاتها العقدية الفاسدة، كالأحزاب العصرانية، والمنظمات الماسونية ونحوها .

٣ - التمثل الإسلامي الواقعي :

إشاعة العلم الشرعي عامل حصانة من العصرانية وإيقاظ للفطرة السليمة، وضبط للوجهة الصحيحة والغاية الحقة للناس، والمواكبةُ العلميةُ لحركة الحياة، تحرر من السلبية، وانبعاث نحو الفعل المبادر في دائرة الإسلام، بعيداً عن دوائر العصرانية .

ويبقىٰ عامل مهم في إيجابية الموقف الإسلامي تجاه العصرانية، وهو: التمثُّل الإسلامي الواقعي .

هذا التمثل الذي يمثل التحدي الأكبر والحساس تجاه أهل الإسلام اليوم، الذي يزداد تعاظماً كلما اكتسبت الصحوة مساحةً من حرية العمل، ويزيد مواجهة لها كلما زاد بروزها علىٰ الساحة، وتعلقت بها آمال الناس والأمة في تحقيق مطامحها التي أخفقت العصرانية في إنجاز شيء منها .

والمقصود بالتمثُّل الإسلامي الواقعي :

أ - توصيف منهج للحياة الإنسانية ـ الفردية والاجتماعية ـ منضبط بالإسلام غاية، ومنهجا، قائم علىٰ مراعاة واقع العصر الذي نعيشه بأبعاد هذا الواقع المتعددة ـ سياسية، واقتصادية، وفكرية، وإعلامية، وغيرها ـ وبخلفياته المتشعبة في كل بعد من أبعاده .

ب - حركة تطبيق واعٍ شامل لذلك التوصيف حسب الإمكانات المتاحة، والوسائل المتيسرة بمنهج متثبت وخطوات متدرجة متزنة .

جـ ـ تفاعل لا يُغْفِل ـ أبداً ـ النقد الموجه لذلك التوصيف ولحركة تطبيقه؛ سواء من خارج أصحاب الموقف أو منهم أنفسهم ، حتى يُستثمر هذا النقد عامل ترشيد وإنضاج، لا معول تحطيم، أووسيلة إلهاء .

هذا التمثّل هو المهمة التي تتضخم أمام أهل الإسلام، بعد أن كانت المهمة الكبرى لهم هي : مقاومة المد العصراني الجارف (١) .

لقد أمسكت العصرانية بمقاليد كثيرة في بلاد المسلمين، وخططت وحكمت ونفذت ما قدر لها أن تنفذه .

والدور قادم على أهل الإسلام ـ على الصحوة بالذات ـ التي ينبغي أن يتجاوز دورها هدم العصرانيات الفكرية والحركية إلى بناء أسانيد وركائز بديلة (٢) تحقق تمثلا واقعيًّا ، سواء في تحديد الرؤية الصحيحة ـ إسلاميًّا ـ لما يجري في العالم من تغيرات تعني المسلم ـ دون ريب ـ، أو لما

---

(١) هذه سنة الحركة في الحياة (التخلية ثم التحلية) أو النفي ثم الإثبات على منطق الشهادة (لاإلـه إلا الله)، فقد كثفت الصحوة جهودها لتطهير المجتمع المسلم من أدران العصرانية، داعية الناس إلى العودة للإسلام دون تفصيل، ولكنها لابد لها بعد أن أدت دعوةُ تجاوز الواقع العصراني والتعلق بالإسلام أثرها أن تُفصل حياة الناس على مقاسات الإسلام مع مواصلة جهاد العصرانية التي ستمثل وضعا عدائيا قائما لن يستسلم بشكل تام، حتى مع ظهورالإسلام .

(٢) الاندماج في عملية الهدم دون التخطيط لما بعدها يوقع الناس في حيصة بعد أن يتهيأوا للتخلي عن البنيات السابقة لهم، حينما يشعرون أنهم سيصبحون في الخواء؛ نتيجة النقص في البدائل، أو عدم استوائها لدى الذين قاموا بعملية الهدم . لذا فقد يلعب العصرانيون على الحبل فيقدمون للناس بدائل عصرانية عن البنى السابقة، وكم بذل المسلمون من دماء في محاربة المستعمرين والطغاة، ثم قطف الثمرة سواهم .

يجري في عالمه الإسلامي على مسرح السياسة، أو في تحديد الخطوات الصحيحة من غيرها ـ في تفصيلات العمليات الاقتصادية بمسمياتها، وشعاراتها، وتقلباتها القائمة بصورة تزرع في نفسه اليقين، والثقة بحركته معها. أو في الاستراتيجيات الاجتماعية التي تحدد الأمداد أو البدائل الممكنة في مثل قضايا الرياضة، والتعليم، والإعلام، والمرأة، وإبراز أوضاعها القائمة إلخ. بحيث إن المسلم يجد نفسه محاطا بوضوح كافٍ ووافٍ لكل جزئيات حركته، فلاحا كان أو عاملاً، أو تاجراً، أو موظفاً، أو مسئولاً عامًّا، أو هيئة مخطِّطة.

إن هذه الحاجة بالنسبة للصحوة الإسلامية لم تعد دراسة مستقبلية ـ أي تنظيراً لما بعد عَقْد أو عقدين مما يتوقع حدوثه ـ إنما معالجة واقعية لأحوال الناس الذين اشرأبوا نحوها، مستدبرين طروحات العصرانية.

وحينما نتلهى عنهم وعن حاجاتهم، فإننا على أحد وجهين :ـ

أ ـ إمّا أن نَكِل هذه المهمة ـ مهمة التمثل الإسلامي الواقعي ـ في تحديد استراتيجيتها إلى الناس أنفسهم بعد عودهم للحق، أي : إلى العصرانيين الراجعين من ذوي القدرات الفكرية (١).

ب ـ أو أننا نرى المسألة لا تستحق إعداداً وتخطيطاً؛ بل ربما نجعل هذا من التكلف المنهي عنه، والمنافي لبساطة الدين وفطريته.

وفي كلا الحالين : فإن ذلك يدل على عجز مرده الجهل، وعلى نقص

---

(١) ولقد اهتبل بعض العصرانيين هذه الثغرة، فأعلنوا حبَّهم للإسلام، واستعدادهم لخدمته؛ ومن ثم خلعوا على أنفسهم لقب المفكرين الإسلاميين، وبدأوا يقدمون للناس منهج حركة الحياة المطلوب، من خلال رُؤاهم المشبوهة، أو على الأقل الناقصة.

خطير في فهم الإسلام الذي هو غايات، ومقاصد، وأحكام تشريعية تفصيلية لحياة البشر في كل أطوارها وسائر أوضاعها .

وفي الوعي بالحياة البشرية وتعقيداتها التي لم تُعد حركات أفراد منفصلة يسهل إيقافها وتغيير مجرها، وإنما أصبحت مؤسساتٍ، ونظماً مترابطة، متشعبة الأبعاد.

وينبغي أن نعلم هنا : أن مناط هذه المهمة - مهمة التمثُّل الإسلامي الواقعي - هم ذوو القدرة، والعلم الشرعي، والوعي بالواقع (١)، كما ينبغي أن نعلم أن هناك جهوداً حثيثة - فردية - في هذا السبيل، بمعنى : أنه ينبغي ألا نفهم أن الساحة مجدبةٌ تماماً من حركة التمثل الإسلامي الواقعي، ولكن حاجة الواقع أكبر من تلك الجهود.

*** أسس تحقيق التمثل المطلوب :**

لابد أن يركن ذلك التمثل الإسلامي على أساس مكين، حتى يكون مشروعاً، حاملاً أعلى ما يستطاع من درجات الإسلامية والواقعية .

ولابد لتحقيق ذلك مما يلي :-

١ - أن يقوم على تصور سليم واعٍ لواقع الحياة البشرية في هذا العصر بكل تعقيداتها، وخلفياتها، وإنجازاتها، بحيث يستثمر كل جوانب هذا الواقع القائم في بناء مثاله .

---

(١) أمّا العامة والمثقفون ثقافةً لا تؤهلهم للريادة في هذا المجال، فينبغي أن يعوا دورهم تلقيا من المؤهلين، وحماية لمشروعهم الإسلامي، ومن الخطأ أن ينعكس الأمر فيصبح الرواد تبعا للعامة، ينفعلون بآرائهم ولو كانت فجّة، ويدارونهم ولو على حساب الحق .

٢ ـ وعلىٰ وعيٍ بالشرع؛ مقاصد، ودلالاتٍ، وأحكاماً، وأسساً منهجية. وينبغي أن يعي جيل الصحوة أنه لا يكفي لتأصيل نظم الحياة وفكرها أن يكون المؤصِّلون ملتزمين بالإسلام تعبدا، وخلقاً، ومشاعر؛ بل لابد لهم وراء ذلك من تأهيل علمي، شرعي؛ كي يتبوأوا منبر مهمة التأصيل.

٣ ـ وأن يحذر المتصدون له من الوقوع في فخ الاستقطاب إلىٰ أفلاك العصرانية، وبُنَىٰ الفكر الغربي ـ وهو الذي أشرنا إليه فيما سبق (١) ـ وهو ما تدأب فلول العصرانية في العالم العربي إلىٰ جر الصحوة إليه، ليبقىٰ مشدوداً إلىٰ منطلقاتهم أخذا وردا في مناوشات فكرية لا دور للإسلام فيها إلا بأن يُستشهد ببعض نصوصه تأييدا لما انتهىٰ إليه هؤلاء.

لقد حدث هذا في علم الكلام قديماً، وحدث في العصر الحاضر ـ مما سمي بالمدرسة العقلية، وهو الآن أحد السهام التي يراد إنفاذها في حركة الصحوة الناهضة.

٤ ـ وأن تقوم هذه الحركة علىٰ أساس البناء المذهبي، دون النظرات التجزيئية التي تُفقِد نُظُم الإسلام وأحكامه كثيراً من قيمها.

والمقصود بالبناء المذهبي هو: النظر إلىٰ الإسلام بصفته ديناً متكاملاً (عقيدة، وعبادة، وخلقاً، ونظماً اجتماعية)، والانطلاق في حركة توصيفه وتطبيقه من هذه النظرة الكلية، بعيداً عن الترقيع التجزيئي الذي يشوه صورة الإسلام، ولا يحقق للحياة الإنسانية إسلاميتها المطلوبة.

---

(١) مبحث (العصرانيون ومفاجاة الصحوة الإسلامية). (ص: ٣٨).

يستوي في ذلك أن يكون الترقيع بأخذ جزءٍ أو أجزاءٍ من الإسلام وتركيبها في مذهبية عصرانية قائمة، أو بإطراح جوانب من الإسلام، وتركيب بعض البُنى العصرانية في موضعها في مذهبية الإسلام. وكلا الأمرين أخذ بهما العصرانيون، وينصحون الصحوة بأخذها .

المجتمع السعودي والعصرانية

دراسات التأثير الغربي على المسلمين رغم أنها دراسات تعالج أوضاعاً اجتماعية، وثقافية؛ ممّا يعني أنها تستقرئ واقعاً، أو مواقع معينة تسبر التأثر، والتفاعل في دائرتها .

- رغم هذا ـ فإن عامة هذه الدراسات غير متعينة؛ أي : أنها غير متخصصة؛ بأن يتركز كلٌ منها في بيئة، أو دولة محددة ـ مثلاً ـ فهي دراسات عامة للعصرانية، أو العلمانية، أو أمثالها من الأسماء، وتأثيرها في العالم الإسلامي، أو على الأقل العربي، وقد يكون بعضها نظريًّا يعالج حكم الإسلام فيها، أو أثرها على إسلام المسلم مطلقاً، لا في ظل واقع معين، وبعضها الآخر رغم عمومية العنوان يظل دائرا في فلك بيئة معينة ، كمصر مثلاً .

والحق : أن المجتمعات المسلمة متقاربة فيما بينها ـ خاصة العربية ـ في كثير من الخصائص وبالذات في منزعها التراثي ووحدة المنهل المقدس لديها ـ الكتاب والسنة ـ . كذلك فإن ريح العصرانية التي هبت على هذه المجتمعات من الغرب كانت موحدة الغاية، متقاربة الأسس وإن تعدد وجوهها .

ولكن وراء ذلك كله فإن الحياة الاجتماعية التي هي موطن الدراسة مما تتمايز به البيئات وتختلف فيه الشعوب تبعاً لأوضاع جغرافية، أو موروثات تقليدية محلية، أو مؤثرات داخلية، أو خارجية تخص مجتمعاً دون آخر .

وفي هذا الإطار يرى كل متأمل أن للمجتمع السعودي عناصر تفرد

كثيرة اكتسب بها طابعاً خاصًّا انعكس على تفاعله مع المؤثرات الوافدة فأثمر نتائج يتسم كثير منها بالخصوصية .

لذا أرىٰ أن من النافع للجيل ـ السعودي ـ الناشيء أن يسهم القادرون من الكتاب ممن عاش وعايش فترة انفتاح هذا المجتمع علىٰ العالم وتفاعله السابق معه في رصد هذه الفترة في جوانبها الثقافية والاجتماعية ، وما طرأ عليها ، وما نتج عنها ، والمقاربة بين تفاعل هذه المجتمع وتأثره بالعصرانية ، وتفاعل المجتمعات الأخرىٰ والعربية بالذات ؛ خاصة مصر التي تُسْقط الدراسات للعصرانية ـ غالباً ـ عليها .

إني أؤكد حق شبابنا المتطلع إلىٰ تحسس واقعه والارتقاء بمجتمعه بأن يعرف هذا التفاعل في صفحة مجتمعه الذي نشأ فيه ، لا من خلال واقع مجتمعات أخرىٰ يضطر إلىٰ تطبيقه علىٰ مجتمعه ، فيتصور مجتمعه حياةً وأشخاصاً ، وعلاقاتٍ في ضوء ذلك الواقع المختلف ، فيخطيء في فهمه ، وينفصم عن الواقع الحقيقي لمجتمعه .

فهل من همةٍ لدىٰ القادرين من المؤهلين علماً ، وصدقاً ، وشمولية فكر تنبعث لتحقيق هذه المهمة .

وسأشير أشارة موجزة إلىٰ هذه المسألة من زاوية هذا البحث ـ العصرانية ـ ركيزة النظر هنا أن المجتمع السعودي مجتمع متفرد بين المجتمعات الإسلامية ، والعربية في جوانب شتىٰ تهمنا منها تلك الجوانب التي تصب مجتمعة في تركيز إسلامية هذا المجتمع إلىٰ درجة أن أصبح الإسلام ـ في تصور الآخرين ، حتىٰ من غير المسلمين ـ يستدعي استحضار هذا المجتمع ، فكأنه مرادف له .

ومن هذه الجوانب :ـ

١ ـ أن مهاد هذا المجتمع كان مهبط رسالة محمد ﷺ الرسالة الخاتمة والناسخة للرسالات السابقة، والموجهة للناس كلهم، والتي سيظل نورها مضيئاً إلىٰ قيام الساعة .

٢ ـ وأن فيه مأرزَ الإسلام ـ المدينة المنورة ـ التي وُلدت فيها دولة هذا الدين، وفيها مسجد نبيه، حيث يأوىٰ إليها هذا الدين إذا طُورِد في أقطار الأرض، ما جاء بذلك الحديث الشريف « **إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها** » (١) .

٣ ـ أن فيها الأماكن المقدسة والمشاعر المعظمة، التي فُرض علىٰ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يزوروها ـ إذا استطاعوا ـ وأن يتجهوا إليها في صلواتهم كل يوم مرات .

٤ ـ أن تراثه الإسلامي حيٌّ في نفوس أهله، فهو تاريخهم الذي يتأملون ، وأدبُهم الذي يتذوقون، بل حقيقة حياتهم التي يعيشون .

٥ ـ أن حركة النهضة التي ظهرت فيه ، وثقفت رماحه المعوجة، كانت حركةً إسلاميةً صافية، لم يكن لمدارس التخلف في العالم الإسلامي تصوفاً، وفلسفة، ونحوها ، ولا لعصرانية الغرب تأثير في منهجها وحركتها .

٦ ـ لم تطأ أرضها جيوش الاستعمار الكافر التي تحكمت في بلادٍ إسلامية كثيرة، في مناهجها التعليمية وتنظيماتها القانونية، وتركيبتها السكانية. وكثير من أنماط حياتها الاجتماعية منحرفة بها في كل ذلك نحو الروح الغربية .

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما . انظر : صحيح البخاري ـ كتاب فضائل المدينة ، الباب السادس .

٧ ـ أنها كانت بيئة فطرية ؛ سواء في فترة انغلاقها السابق ، أو انفتاحها اللاحق . فالمكونات الثقافية لمناهجها التربوية ـ خاصة في المراحل الدراسية الأولىٰ ـ عمادها النصوص الشرعية ، ومباديء علوم الدين ، والتراث العربي والتاريخ الإسلامي بعيداً عن تيه الفلسفات وضلال النظريات المنحرفة (١) . والعلم الشرعي هو مدار حياة هذا المجتمع تعلماً لفنونه وتقاضياً إليه ، واستفتاءً لأحكامه .

وهكذا فِطرةٌ نقية يغذيها مدد ثقافي وعلمي إسلامي يحفظ الفطرة وينميها ويجعل لها حضورها أثناء التفاعل مع أنماط الفكر البشري (٢) .

٨ ـ أن الحكم فيه بيد أسرة ارتكزت حينما بدأ حكمها الشامل لهذا المجتمع علىٰ مباديء دعوة إسلامية أصلية ، صارت تشكل إرثا وهوية للحكم في هذا المجتمع .

وهذه القضية المصيرية الكبرىٰ حاضرة في أذهان أهل هذا المجتمع

---

(١) هذه الفسلفات والنظريات تُزْرَع ـ وللأسف ـ في نفوس أبناء المسلمين في تعليم كثير من البلاد المسلمة ، مما يؤدي إلىٰ زعزعة بقايا الفطرة والتقاليد الإسلامية التي يعيشها مجتمعه ، إذ الغالب في تلك المناهج أنها تعرض الفلسفات والنظريات المخالفة للإسلام ، دون عرض مقابل للإنسلام ومنهجه ، وموقفه . من تلك الفلسفات .

(٢) ليس بين التفاعل مع الفكر البشري فلسفيا وعلميا ، وأصالة الإنسان الفطرية مفارقة لأن الفطرية هنا لا تعني البدائية فكراً أو حياة إنما تعني بقاء الأوليات العقلية (سواء من منطقيات المعرفة أو قيم الأخلاق حية حاضرة في نظرالإنسان وممارسته خلافا لإنسان ينشأ في جو مضطرب تسوده فلسفات لا منطقية ، ويشيع في أدب الاغتراب ، ونحو ذلك مما يؤدي إلىٰ مسخ فطرته .

حكاماً ومحكومين بشكل حاسم وواضح (١) .

وفي هذا الاتجاه صدر النظام الأساسي للحكم في ٢٧/ ٨/ ١٤١٢هـ ـ مرتكزاً في بنوده على هذا المنحنى الإسلامي الصريح ـ مثلاً ـ .

مادة (١) : المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ .

مادة (٦) : يبايع المواطنون الملك على كتاب الله ، وسنة رسوله، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر .

مادة (٧) : يستمد الحكم سلطته من : كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله، وهما الحاكمان على هذا النظام، وجميع أنظمة الدولة.

ومواد أخرى كثيرة تجعل الإسلام هو الهوية التي تسري في عروق الدولة كلها، وتنفي شرعية أي خَبَث يفد على هذا المجتمع .

وبالمقابل : فإن التأييد والتعليقات من المسئولين والمفكرين، بل وأحاديث العامة قد تركزت بهجتها أكثر ما تركزت على التأكيد الذي حظيت به هذه الهوية العظيمة.

---

(١) انظر وضوحه في أقوال حكام هذه الدول في :
ـ خطب الملك عبدالعزيز .
و (وثائق للتاريخ) صادر من وزارة الإعلام السعودية.
وقد أجمل الملك فيصل ـ رحمه الله ـ هذا العنصر بقوله : «البيت السعودي بيت دعوة قبل أن يكون بيت ملك» .
الملك عبدالعزيز والتعليم د. عبدالله الرواس، وبر الدين الديب . ص : ١٧ .

هذا المجتمع ذو الملامح السابقة من آخر المجتمعات الإسلامية تفاعلا مع الفكر الغربي المعاصر.

وإذا لم يكن للاستعمار والتنصيروالمدارس الأجنبية، والطوائف غير المسلمة من قنوات العصرنة في غالب البلاد الإسلامية أثر مباشر في خلخلته، فإن عوامل أخرىٰ كان لها أثرمتفاوت في هذا المجال، مثل :ـ

١ ـ الابتعاث للدراسة في الخارج، وخاصة لخارج البلاد الإسلامية.

٢ ـ استقدام المدرسين ـ من غير المسلمين أو حتي من مسلمين منحرفين ـ بعد انتشار التعليم، مماجعلهم ينتشرون معه في سائر البلاد.

٣ ـ العمالة الوافدة التي كانت منوَّعة الأديان، والتقاليد.

٤ ـ السفر إلىٰ الخارج ؛ وخاصة الأسفار السياحية بالعوائل، المشتملة علىٰ النساء، والأطفال، والمراهقين.

٥ ـ وسائل الإعلام ـ خاصة ـ المنطلقة من مراكز العصرانية ؛ سواء من الغرب أو من داخل البلاد العربية.

وإذا نظرنا في واقعنا في ضوء المظاهر الاجتماعية للعصرانية ـ التي سبق ذكرها ـ سنجد كثيراً منهاقد تمثلت صورها في حياة البعض، وإن لم تكن بِحدَّتها التي انتهت إليها المجتمعات الأخرىٰ .

بل إن بعض الجوانب ذات الحساسية احتفظ المجتمع السعودي تجاهها بتماسك طيب تعضده حِشْمةُ هذا المجتمع ودينه، وجهد علمائه، ودولته، مثل ما يتعلق بقضايا المرأة التي تمثل أهم الأهداف التي تصوب إليها العصرانية سهامها القاتلة (١) .

---

(١) بالنسبة للوضع العام . . أمّا التفلتات الشاذة فلاتمثل سمت المجتمع، ومن ثم فهي ساقطة الاعتبار.

والحق أن لهذا المجتمع بعامته وعلمائه ودولته موقفاً مشكوراً تجاه المد العصراني . تَمثَّل ابتداءً في محاولة لفرز بين النافع من العلم وتطبيقاته، والضار على المجتمع في دينه وخلقه، من أجل أخذ الأول ورد الثاني ، كما تمثل في مواقف ذات حساسية تجعل الناس يعون ما يُقدمون عليه مّما يتلقفونه من الغرب، من حيث ملائمته لأحكام الإسلام، وخُلق المجتمع أولاً .

كما تمثَّل ـ أيضاً ـ في مؤسسات علمية ودعوية تجعل مهمتها تحصين المسلمين ومقاومة الدخائل المدمرة، لا في نطاق المجتمع السعودي فحسب، بل امتد أثرها إلى المسلمين خارجه (١) .

ويدخل في هذا الجهد تعميق الثقافة الإسلامية في نفس الناشئ، حتى يعي حقيقة إسلامه وعياً يكفل له كشف زيغ كل الطروحات العصرانية، التي تهدف إلى أن تحل في نفسه محل دينه .

وقد سُعِي إلى ذلك من خلال مادة الثقافة الإسلامية التي أكدت عليها سياسة التعليم في مراحله المختلفة، وإن كانت لم تأخذ قيمتها أحياناً، لعدم الوعي بغاياتها الحقيقية في حياة المسلم التي تعتورها السهام الغازية من كل جانب .

ومع ذلك فينبغي ألا نخدع أنفسنا بأن نرى مجتمعنا في ظل ميزاته الطيبة التي مر ذكرها وحسب؛ بل لابد من الوعي بأن الكيد الهادف من أعداء هذا الوطن والجاهلين بالإسلام، لا يزال متواصلاً في هذا العصر منذ بدأت إرساليات التنصير تجوس خلال الخليج والبحر الأحمر مادة

---

(١) كالجامعات الإسلامية، وهيئات الدعوة، ورابطة العالم الإسلامي ، والندوة العالمية للشباب الإسلامي .

عيونها طمعاً في النفوذ إلى هذه البلاد قبل عشرات السنين، يوم أعلنت البعثة العربية للتنصير خطتها العملية لغزو هذه الجزيرة (احتلال الداخل عن طريق الساحل) (١) .

ومنذ أخذ الغرب يتربص بهذه البلاد الدوائر من خلال جنوب الجزيرة العربية، الذي تم تسليم الحكم فيه بعد جلاء بريطانيا عنه إلى الجبهة القومية اليسارية، مع أنها مدعومة من الماركسية عدوة بريطانيا، ولم يكن لها دور بارز في حركة الاستقلال، إنما تمَّ ذلك ليكون تجربة في الجزيرة ـ من أعداء الإسلام ـ ومنطلقاً لامتداد الحركة التحررية اليسارية في الخليج العربي، وفي بلدان البحر الأحمر .

منذ تلك البدايات وخلال تطوراتها، وحتى وقتنا هذا الذي تحسب فيه دوائر العصرانية العالمية دقات قلب هذا البلد، الحاقدون يبذلون جهودهم لصرفه عن مسيرته الخيّرة الناهضة، ولإحداث الثغرات في سمته الذي لايزال نموذجا في عالمنا الإسلامي .

إن العصرانيين رغم أنهم لا يستطيعون تجاهل تلك السمات المميزة لهذا المجتمع من حيثُ صبغته الإسلامية . إن في قاعدته الجماهيرية . أو في الإرث المكين لسلطته الحاكمة .

إلا أنهم يُراغمون هذه الحقيقة، طامعين بأن يلبسوا الحق بالباطل،

---

(١) أصول التنصير في الخليج العربي ـ هـ . كونوي زيقلر ـ ترجمة : مازن مطبقاني ص : ٣٣ .
ويذكر أنه في عام ١٩١٤م عرض المبشر الطبيب مايلريا على الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ تأسيس مستشفى للبعثة في الرياض، فرفض الملك ذلك رفضاً حاسماً ـ ٦٥ من المصدر نفسه .

وأن يستطيعوا من خلال كيدهم تحويل وعي المسلم بدينه، وبحقيقة انتمائه لإسلامه، ويقينه أن مقتضىٰ كونه مؤمنا بهذا الدين أن يظل صافي العقيدة والعبادة من كل شائبة شرك أو بدعة، وأن تستقيم حركته في الحياة علىٰ منهاج الله بأن تحكمها في كل جوانبها شريعة ربه (١) .

ـ تحويل هذا الوعي ـ إلىٰ تصور غائم مشوَّش لدىٰ المسلم لمعنىٰ إسلامه، بحيث يكتفي بإسلام الوراثة، أو الهوية والاسم، أو بعض الشعائر التعبدية، ونحو ذلك ـ ممّا خدعوا به كثيراً من جهلة المسلمين في مجتمعات كثيرة ـ ، ومن ثم يَسمح لهم بأن يتدخلوا في حياته الاجتماعية، سياسة واقتصادية، وعائلية وثقافية، لينشروا فيها عصرانيتهم . وإن ممّا يؤُسف له أن يُخدع بهذه اللوثة من أبناء هذه البلاد أُناس أتصور أن كثيراً منهم يحملون في قلوبهم إيماناً بالإسلام ، وحباً لمجتمعهم ، ورغبة صادقة في أن يرتقي سلم المجد الحضاري . ولكنهم رغم ذلك وقعوا في أحابيلها إمّا :

ـ بسبب نقصٍ في فهمهم لحقيقة الإسلام في عقيدته وشريعته، نتيجة عدم دراستهم له أصلاً، أو لتصوره من خلال بعض الصور التراثية، أو الصور الحاضرة التي لا تمثل حقيقة الإسلام، وإن حملت اسمه، أو من خلال دراساتٍ استشراقية أو شعوبية حاقدة تستهدف تشويه الإسلام .

---

(١) هذا الوعي الذي يمثل فهما صحيحاً لحقيقة الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ ورضيه المولىٰ ـ سبحانه ـ لعباده ـ في هذه البلاد ـ من أثار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ ذلك أن تَصوًّر المسلمين لدينهم كان قد أصابه الغبش حتىٰ قبل ظهور العصرانية في سائر البلاد في عصور الضعف عند المسلمين .

ـ أو بسبب موقفٍ نفسي من بعض التصرفات، أو الأشخاص الذين يحملهم هؤلاء على الإسلام، إمّا لهيئاتهم ، أو لشهاداتهم ، أو لطبيعة عملهم ، فيتصورون أن شخصياتهم تمثل الإسلام بحَسَنِها وسيئها .

ـ أو نتيجة انخداع ببعض المذهبيات الفكرية ، لما يحيط بها من بريق ، وما يتسم به دعاتها من حيوية ، وما تمثلت به من نظم سياسية .

ـ أو لخضوع تحت ضغط الواقع العربي والعالمي ، الذي كانت الخيوط تشدُّه بعيداً عن الدين .

ـ أو بسبب تبعية فكرية يلازمها شعور بالنقص ، ممّا يجعل التابع تلميذاً غير قادر علي تجاوز أساتذته عرباً ، أو غربيين ، حتي لو استبطن قناعاتٍ مخالفة لهم .

لِبعض هذه الأسباب أو لغيرها انصرفوا بطاقاتهم الفكرية ، وجهودهم الحركية إلى الإساءة لدينهم ومجتمعهم .

ـ بتذويب عوامل الحصانة الاجتماعية فيه أمام الاختراق العصراني .

ـ وتقديم النماذج الطازجة للبُنَى الثقافية والمذهبية المنافرة لدينهم وهويتهم ، على أنها البدائل الصالحة التي ينبغي أن يندمج فيها المجتمع معصرنا بها مؤسساته التقليدية .

ـ وتغييب ركيزةٍ إسلامية كبرى تتمثل بها حقيقة تميز المسلم ، وهي (الولاء ، والبراء) من خلال تمجيد الملاحدة ، وإضفاء الهالات الضخمة عليهم ، وإبرازهم أمام الناس بصفتهم المثل الحياتية .

ـ ونقل عقدة النقص والشعور بالدونية إلى الجيل الناشيء ، كي يخجل من واقعه ، ويتتلمذ على من يفقدون أدنى درجات المصداقية علما

وخلقا، من مفكرين وشعراء وغيرهم (١) .

ـ وتسفيه الارتباط بالتراث الإسلامي بأساليب منوعة .

ـ وحجب العيون عن رؤية الحقيقة، إذا كانت لا تتفق والوجهة المروجة من طريقهم . إلخ صور الإساءة التي تقل أو تكثر، تخف أو تحتد من شخص لآخر، لكنها مع ذلك تعكس خللا خطيراً تعيشه تلك الفئة في فكرها وإيمانها وصدق ولائها لمجتمعها، وفي استيعابها لمقومات البناء الحضاري في هذه البلاد . [الإسلام والمجتمع السعودي، والعصر القائم] .

هَزَّة الإيقاظ :

في الآونة الآخيرة تضافرت عوامل عديدة كانت جديرة بأن تهز النفوس اليقظة للعصرانيين من أبناء المسلمين وأبناء الجزيرة والخليج بالذات، لعل من أهمها

* الإفلاس الذي انتهت إليه الاتجاهات والمذهبيات التي أزاغ وَهَجُها أبصارهم واستهواهم مدها العصراني في عقود ماضية، هذا الإفلاس الذي انتهى بالانهيار الماركسي (٢) .

---

(١) وقد كشفت أزمة الخليج من فضائح هؤلاء المثقفين العرب ! ما فيه عبرة لأولي الألباب .

(٢) في عام ١٩٧٤م ونتيجة لصيحات النقد الموجهة لنظم العالم القائمة عقدت هيئة الأمم المتحدة بكامل أعضائها اجتماعا (دار البحث فيه عن نظام جديد، وأقروا بالإجماع : أن النظامين القائمين، والأنظمة العالمية السائدة أصبحت غير صالحة لقيادة العالم المتحضر، الذي أصبح الإنسان يفتش فيه عن قيمته وكرامته . . . وقرروا وجوب إنشاء نظام جديد على قواعد جديدة، وأحيل هذا القرار إلى الجهاز العلمي للأمم المتحدة ـ اليونسكو) الشريعة الإسلامية والآفاق العلمية، ص : ٣، معروف الدواليبي ـ بحث ضمن بحوث قسم الثقافة الإسلامية ـ بجامعة الإمام، لعام ١٣٩٩هـ .

* والصحوة الإسلامية التي برزت تحدِّيا مذهبيًّا غنيًّا لسائر المذهبيات خاصة المروجة منها في عالمنا الإسلامي .

* أمّا طامة تلك العوامل فهي أزمة الخليج التي كشفت زيف أكبر الأصنام العربية ـ البعث المقيت ـ الذي كرَّس العصرانيون العرب ، ومنهم : عصرانيو الخليج جهدهم وولاءهم له، ولرموزه قبل الكارثة . والحق أن هذه العوامل هزَّت نفوساً كثيرة بالفعل .

وقد برز ذلك في الصحف بعد أزمة الخليج نقداً للنظام العربي ، ولأساسيات الفكر القومي ، وللقيم العربية المنهارة ، التي لم تزع قياداتٍ فكرية من تأييد الباطل البعثي .

ولكنَّ هذه الهزة رغم إيجابيتها لا تُحقق قيمتها إلا إذا وُجهت توجيها سليما من قبل أصحابها ؛ بأن تنتهي ـ من بني قومنا ـ إلىٰ مراجعة ذاتية لا يتحول فيها المتبصر من غرفةٍ إلىٰ أخرىٰ ، باحثاً عن النور في بيت تياره الكهربي مقطوع أساساً ؛ بل لابد من الخروج من البيت وهو هنا : الدائرة العصرانية إلىٰ مصدر النور وهو : دينه ، ليستمد منه الضوء الذي يدخل به هذا العصر ليبدد ظلمات غرفه ودهاليزه ، عارفاً ما فيه من الأشياء علىٰ حقائقها تحت هذا الضوء .

أمّا رفض الخروج من حلقة العصرانية : فإنه يُفقد التغيَّر قيمته ؛ لأن ثمرة الكفر بتجربة من تجاربها لا تعني سوىٰ التعلق بسواها من التجارب الجديدة .

ومهما زعمنا أننا امتلكنا ثقتنا بأنفسنا ، والقدرة علىٰ تجاوز المراكز العربية التي كنا نستلهمها ما تبثه من فكر ، وننادي بما ترفعه من شعارات ،

فإننا سنظل أتباعا، ولن نشعر لأنفسنا ولا لمجتمعنا بقيمة كيانية ما دمنا في دائرة هذه الحلقة (العصرانية) .

وهذا ما يُخشىٰ أن يقف عنده أثر أزمة الخليج ـ خاصة ـ والتغيرات العالمية بعامة بالنسبة لهؤلاء ، بل هو ما يشهد به الحال لبعضهم (١) .

يذكر الدكتور محمد الرميحي (٢) : أن هذه الأزمة هزت المثقف الخليجي ، مما عاد به ليحاسب نفسه ، يقول متحدثا عن المثقف الخليجي (لقد ثبت بالدليل القاطع أن كثيراً منا غُرِّر في تصوره لما يمكن أن تقدمه الأنظمة التي سميت في أدبياتنا بالثورية . . . لقد كانت بعض المفاهيم تنفر بعض مثقفينا وطلابنا في الخارج من أهلهم وذويهم ، ويُغرر بهم لدرجة أن يتنكروا لمجتمعهم .

لقد كان البريق الثقافي لبعض الأطروحات القادمة من الشرق

---

(١) ولعل هذا ما يشير إليه الدكتور فهد الحارثي في شيء من العتب ، حينما قال : إن أزمة الخليج كشفت عن أنا كنا (نفكر بطريقة خاطئة ، وأن نمط تعاملنا مع الآخرين كل يبلغ مداه في الفشل ، وأن كل شيء مّما كنا نفعله كان يمشي على عكسه ، فهو زائف ، وهو براق ، وهو مخادع . . .) . ولكنه يقرر أن هذا الكشف لم يحقق تغييرا إيجابيا ؛ إذ] لازلنا نفكر بنفس الطريقة ، ولا زلنا نأتي ما اعتدنا من ممارسات وتصرفات) ، ثم يحذر مشفقا (إننا خائفون . . . خائفون جدًّا أن يكون هذا الغد ليس أكثر من تكرار مسخ لذل الأمس ، فتصبح الأزمة مجرد ذكرىٰ أو حلم مزعج قضي وانتهىٰ ، ثم عدنا كما كنا) .
انظر : مجلة اليمامة ، ص : ١١ ، العدد : ١١٧٤ في ٢٤/ ٣/ ١٤١٢هـ . وانظر أيضا : منير شفيق ـ الإسلام في معركة الحضارة حيث ينبه إلىٰ خطورة هذا الموقف الذي يقفه العصرانيون حيث يقوم نقدهم لبعض صور الحداثة الفاشلة علىٰ أرضها ، وضمن منطقها ـ الغربي (وهذا ما يبقينا في الأرض ذاتها ، ولا يكون نقدنا غير صدىٰ لما يجري علىٰ أرض الفرنجة من صراعات) ص : ١١٧ .

(٢) مفكر كويتي رئيس تحرير مجلة العربي وصوت الكويت .

والغرب التي بشر بها بعض المثقفين والسياسيين العرب تبهر بعض شبابنا، فتجد أسبابا عديدة منها: عدم الفهم الكامل لتركيبة، ومسار مجتمعنا، ومنها الانبهار بالجديد، ولم نحاول في السابق أن نسبر أغوار تلك الأطروحات ربما لإحساس بالنقص تجاه الآخرين، أو لتضخيم في المشكلات التي تواجهنا) (١) .

ثم ماذا ؟ إلىٰ أين بعد هذه القناعات الانفعالية، وبعد أن أصبح ـ كما يقول ـ النظامُ العربي والجامعةُ العربية ـ بما حملت من أوهام الوحدة العربية والتنمية، وحقوق الإنسان والأمن القومي ـ جثةً تحتاج إلىٰ من يدفنها، لا مريضاً يحتاج إلىٰ علاج ؟ (٢) .

إلىٰ أين الاتجاه بعد التطواف علىٰ مذهبيات الشرق والغرب، وبعد أن أصبحنا (أكثر نضجاً وأكثر فهما وتفاعلاً ، بل وثقةً في أنفسنا ؟) .

الجواب إلىٰ الارتماء سريعاً ودون تلكؤ في أحضان الايديولوجية الجديدة ـ كما يسميها ـ إلىٰ الاندماج في التيار العالمي الجديد إلىٰ الخروج من زقاق التاريخ إلىٰ طريق الإنسانية السريع الذي يلتحم فيه العالم الآن في مسيرة موحدة تدفعها الليبرالية السياسية والمبادرة الفردية، والنظام المالي المفتوح (٣) . وهكذا كما قال الحارثي ـ عدنا حيث كنا .

لماذا ؟ لأننا لم نخرج من حلقة العصرانية، وإن مقتنا بعض وجوهها .

---

(١) مجلة اليمامة، ص : ٥٠، عدد ١٣/ ٤/ ١٤١٢هـ .

(٢) المقالة الافتتاحية لمجلة العربي بعنوان «سقوط الأوهام» ، عدد أكتوبر، ١٩٩١م .

(٣) المصدر السابق .

من هنا أؤكد على استثمار هذه الهزة النفسية لذوي التوجه العصراني في مجتمعنا المتميز .

أدعوهم : إلى أن يقوموا لله ـ خالقهم والمطَّلع على سرائرهم ـ مثنى وفرادى ثم يتفكروا في لحظات صدق مع النفس ، وتجرد من الهوى والعصبية، ليسألوا أنفسهم .

ما حقيقة أهدافهم ؟

وما مدى سلامة وسائلهم ؟

وما مدى انسجامهم مع هويتهم الحقيقية ؟

وما هو المسلك الحق المقنع عقلا ، المرضي وجدانا ، الناجح واقعا ، الصحيح شرعا لنهضة هذا المجتمع فكريًا ، واجتماعيًّا ، وحضاريًّا؟

ولا ريب أن بقايا الفطرة الإنسانية وجذور الإيمان بدينهم ، وموضوعية التفكير ستقود من كتب الله له الهداية ـ نحو موقع جديد سينطلقون منه في توجّهٍ جديد ، خادمين بفكرهم ، وأدبهم ، وجهودهم أنفسهم ودينهم ومجتمعهم وأمتهم .

وإخال أن هذا التوجه الجديد سقوم على منطق لا عهد للدوائر العصرانية في عالمنا العربي به ، لعل من أبرز سماته : ـ

١ ـ التحرر من أسر الثقافة الأوروبية التي تشكل منظومة فكر متشابكة ، لا يستطيع الشخص الذي تهيمن عليه أن يقوم شيئاً إلا من خلالها .

٢ ـ التحرر من المصطلحات العصرانية التي تمثل في حقيقتها لبناتٍ مختومة بطابع الثقافة التي وُلدت فيها وتطورت في ظلها .

٣ ـ دراسة الإسلام دراسة شمولية مركزة تعي الفرق مابين الوحي الإلهي

وتعاليمه الراجعة إليه، وبين النظرات الاجتهادية لآحاد العلماء، فضلاً عن الأفكار الفلسفية والتطبيقات البدعية التي تُنسب إلىٰ الإسلام وليس لها به أدنىٰ صلة وهي التي ـ غالباً ـ ما يُسقطها العصرانيون علىٰ الإسلام، فيتصورونه من خلالها .

٤ ـ الانطلاق من الإسلام وفق تلك الدراسة بصفته مذهبية مستقلة، لها منطقها ومصطلحاتها الخاصة، ومقاييسها المتميزة، ووجهتها المتفردة في تصور الكون، والوجود، و الإنسان، والحياة.

٥ ـ النظر إلىٰ العصر علىٰ أنه وعاء تجري فيه حركة الإنسان في سائر مجالات حياته، مابين صعود، وهبوط، مع وعي أن الرشد هو التفاعل مع هذه الحركة إمداداً لها واستمداداً منها، وفق معيار المذهبية الإسلامية.

وبعد فيا ترىٰ : ألم يأن للذين يلتمسون النور خارج دينهم متهافتين علىٰ الدوائر المظلمة ليقتبسوا ـ زعموا ـ من نورها أن يرجعوا وراءهم نحو دينهم ونورهم، وأن يتقوا الله في أنفسهم، وفي ناشئة الأمة التي يُطفئون وَهج الإيمان في نفوسها، ويطمسون نور الفطرة في صدورها.

ليحذر هؤلاء من التمادي في إضاعة طاقاتهم الفكرية، ومواهبهم الفائقة في حسرات عليهم، ستبقىٰ ندماً أليما لمن أدركته رحمة الله، فاهتدىٰ قبل موته، أو تكون حجابا عن ربهم وختما يحول بين قلوبهم، والتوبة، فيموتون علىٰ ذلك فيكون الهلاك ـ نسأل الله العافية ـ .

ختـــامـــاً

أسوق ما حكاه الله عن أمةٍ انتكس رأيها فزهدت بحق بين يديها، وتعلقت بباطل عند غيرها ـ جهلاً وسفهاً ـ يقول سبحانه : ﴿ **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلـٰهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبَّر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال أغير الله أبغيكم إلـٰها وهو فضلكم على العالمين** ﴾ [الآيات ١٣٨ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ من سورة الأعراف] .

ولهذا البلد الكريم ، ولكافة أهله أُذكِّر بنداء هتف به العالَم الحائر منادياً هذه البلاد ، قبل أربعين عاماً، ومازال النداء قائماً .

يقول هذا العالَم : ـ

(إنك تجودين عليّ أيتها الجزيرة العربية بمقدارٍ عظيم من البترول أدير به ماكيناتي، وأسيّر به عجلاتي، فأنا أدين لك بالفضل وأشكر صنيعك .

ولكني كنت أنتظر منك أيتها الجزيرة السعيدة، يامولد نبي الرحمة شيئاً ، أعز وأثمن من الذهب الأسود، كنت أنتظر منك أن تخرجي له عَجَلَة الحياة التي غاصت في الوحل، وأن توجهيها التوجيه الصحيح، وأن تخلصي ركابها من هذا المأزق، فقد عجزت حكمة الحكماء، وصناعة الصناع من إخراجها، فأخرجيها بما معك من حكمة النبوة، وبقيَّة قوة الرسالة والإيمان واليقين، وسيّريها بنور الشريعة الإلـٰهية، والهداية الإسلامية .

وفي الأخير، أقول : إنك يا جزيرة العرب قطعة مني يصيبك خيري

وشري، ويصيبك لفحي ونفحي، لا يمكنك أن تعيشي منعزلة عني، فإن أدركتني وأصلحتِ شئوني فإلىٰ نفسك أحسنت، أو لا فعليكِ وعلىٰ أهلكِ جنيتِ) ! (١) .

---

(١) العرب والإسلام، ص : ٢٢، أبو الحسن الندوي .

فهرس المراجـــــع

١ ـ اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ـ تأليف عزمي إسلام ـ طبع دار الفكر ببيروت .

٢ ـ آراء نقدية ـ تأليف د. مهدي فضل الله ـ ط١/ ١٤٠١هـ دار الأندلس للنشر .

٣ ـ الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ـ تأليف د. قاسم السامرائي ـ ط ١/ ١٤٠٣ هـ .

٤ ـ الإسلام في معركة الحضارة ـ تأليف منير شفيق ـ طبع دار القلم ـ الكويت .

٥ ـ الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر ـ منير شفيق ـ ط٢/ ١٤٠٧هـ الزهراء للإعلام العربي .

٦ ـ الإسلام والحضارة الغربية ـ محمد محمد حسين ـ ط ١ / ١٣٩٩ هـ المكتب الإسلامي بيروت .

٧ ـ الإسلام والعلمانية وجها لوجه ـ يوسف القرضاوي ـ ط ٢/ ١٤١١هـ مؤسسة الرسالة بيروت .

٨ ـ أصول التنصير في الخليج العربي ـ هـ. كونوئ زيقلر ـ ترجمة مازن مطبقاني ـ ط ١ / ١٤١٠هـ مكتبة ابن القيم ـ المدينة المنورة .

٩ ـ اغتيال العقل ـ برهان غليون ـ ط ٣/ ١٩٩٠م مكتبة مدبولي بالقاهرة .

١٠ ـ إنسانية الإنسان ـ رينيه دوبو ـ ترجمة نبيل الطويل حـ١/ ١٣٩٩هـ مؤسسة الرسالة بيروت .

١١ ـ تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ـ يوسف كرم ـ طبع دار القلم بيروت .

١٢ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ـ يوسف كرم ط ٤ .

١٣ ـ تجديد الفكر العربي ـ زكي نجيب محمود ط٦ دار الشروق ـ بيروت .

١٤ ـ تحديث العقل العربي ـ حسن صعب ط١/ ١٩٦٩ م دار العلم للملايين بيروت .

١٥ ـ التراث والحداثة ـ محمد عابد الجابري ـ ط١ / ١٩٩١م المركز الثقافي العربي بيروت .

١٦ ـ تفسير ابن كثير ـ إسماعيل بن كثير القرشي ـ دار الفكر بيروت .

١٧ ـ التقارير السرية للمخابرات الأمريكية ـ إبراهيم العربي ـ المركز العربي للنشر والتوزيع القاهرة ـ والأسكندرية .

١٨ ـ تهافت العلمانية في الصحافة العربية ـ سالم البهنساوي ط١/ ١٤١٠هـ دار الوفاء بالقاهرة .

١٩ ـ جذور الانحراف في الفكر الإسلامي . جمال سلطان ط ١ ١٤١٢هـ مركز الدراسات الإسلامية ـ بريطانيا .

٢٠ ـ حوار المشرق والمغرب ـ د. حسن حنفي ود. محمد عابد الجابري ط١/ ١٩٩٠م مكتبة مدبولي القاهرة .

٢١ ـ شرح العقيدة الطحاوية ـ محمد بن أبي العز الحنفي ـ تحقيق د. عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط ط١/ ١٤٠٨ هـ مؤسسة الرسالة بيروت .

٢٢ ـ الشريعة الإسلامية والآفاق العالمية ـ معروف الدواليبي ـ بحث ضمن مجموعة بحوث قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٣٩٩ هـ .

٢٣ ـ الشيخ عبدالله العلايلي والتجديد في الفكر المعاصر ـ د. فائز ترحيني ط١/ ١٩٨٥م منشورات عويدات ـ بيروت ـ باريس .

٢٤ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية ـ أبو

الحسن الندوي ـ طبع عام ١٣٩٧هـ ـ مطبعة التقدم القاهرة .

٢٥ ـ الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي ـ مجموعة بحوث بتحرير وتقديم د. سعد الدين إبراهيم ط١/ ١٩٨٨م نشر منتدىٰ الفكر العربي الأردن .

٢٦ ـ صحيح الإمام البخاري ـ محمد بن إسماعيل البخاري ـ المكتبة الإسلامية ـ استانبول ـ تركيا .

٢٧ ـ العرب والإسلام ـ أبو الحسن الندوي ط٢ / ١٣٨٩هـ ـ المكتب الإسلامي بيروت .

٢٨ ـ عصر الإلحاد ـ محمد تقي الأميني الندوي ـ ترجمة مقتدىٰ حسن ياسين ـ طبع دار غريب للطباعة بيروت .

٢٩ ـ العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ـ أميل باترو ـ ترجمة أحمد فؤاد الأهواني ـ طبع الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣م .

٣٠ ـ العلمانية ـ سفر الحوالي ـ ط١ / ١٤٠٢هـ جامعة أم القرىٰ .

٣١ ـ الغارة علىٰ التراث الإسلامي ـ جمال سلطان ـ ط١/ ١٤١٠هـ مكتبة السنة بالقاهرة .

٣٢ ـ في الفكر والثقافة الإسلامية ـ عدنان زرزور ط٤/ ١٤١١هـ ـ المكتبة الإسلامية .

٣٣ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ أبو الحسن الندوي ـ ط٦/ ١٣٨٥هـ دار الكتاب العربي بيروت .

٣٤ ـ محاضرات الموسم الثقافي لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لعام ١٤٠٦ ـ ١٤٠٧ هـ الطبعة الأولىٰ ١٤١١ هـ طبع مركز الملك فيصل ـ الرياض .

٣٥ ـ المستشرقون ـ نجيب العقيقي ـ ط٤ دار المعارف القاهرة .

٣٦ ـ المسيحية ـ من سلسلة مقارنة الأديان ـ د. أحمد شلبي ط٩/ ١٩٩٠م مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .

٣٧ـ المسيحية ـ نشأتها وتطورها ـ شارل جنيبر ـ ترجمة د. عبدالحليم محمود ـ المكتبة العصرية بيروت .

٣٨ ـ معالم الثقافة الإسلامية ـ عبدالكريم عثمان ـ ط٤/ ١٣٩٤ هـ مؤسسة الأنوار الرياض .

٣٩ ـ المغرب المعاصر ـ د. محمد عابد الجابري ـ ط١/ ١٩٨٨م مؤسسة بنشرة ـ الدار البيضاء .

٤٠ ـ مفهوم تجديد الدين ـ بسطامي سعيد ـ ط١ دار الدعوة ـ الكويت .

٤١ ـ الملك عبدالعزيز والتعليم ـ د. عبدالله أو راس ـ وبدر الدين الديب ط١/ ١٤٠٧هـ .

٤٢ ـ مواقف من تاريخ الكنيسة ـ رولاند بينتون ـ ترجمة القس عبدالنور ميخائيل ـ ط٢ دار الثقافة القاهرة .

٤٣ ـ نقد العقل الوضعي ـ عاطف أحمد ـ ط١ دار الطليعة بيروت .

٤٤ ـ ورقة في الرد على العلمانية ـ د. محمد يحيى ط ٢/ ١٤٩٨هـ ـ الزهراء للإعلام العربي ـ القاهرة .

صحف

١ـ البيان الإسلامية ـ مجلة شهرية ـ تصدر عن المنتدىٰ الإسلامي ـ لندن .

عدد ٤٠ تاريخ ذي الحجة ١٤١١هـ.

عدد ٤١ تاريخ محرم ١٤١٢هـ.

عدد ٤٣، ٤٤ تاريخ ربيع الأول ١٤١٢هـ.

٢ ـ التوباد ـ مجلة فصلية ـ تصدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض .

عدد محرم ١٤١٠ هـ .

٣ ـ الرياض ـ جريدة يومية ـ تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض .

عدد يوم ٢/ ١١/ ١٤١٢هـ.

٤ ـ العربي ـ مجلة شهرية تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت .

عدد أكتوبر ١٩٩١م .

٥ ـ المجلة العربية ـ مجلة شهرية ـ تصدر في المملكة العربية السعودية ـ الرياض .

عدد رمضان ١٤٠٦ هـ .

٦ ـ المسلمون ـ جريدة أسبوعية تصدر عن الشركة السعودية للأبحاث والنشر .

عدد ٣٤٠ .

عدد ٣٧٧ في ٢٠/ ٢/ ١٤١٢ هـ .

٧ ـ اليقظة ـ مجلة أسبوعية تصدر عن دار اليقظة الكويتية للصحافة والطباعة والنشر .

عدد شوال ١٤١٢هـ.

٨ ـ اليمامة ـ مجلة أسبوعية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية ـ الرياض .

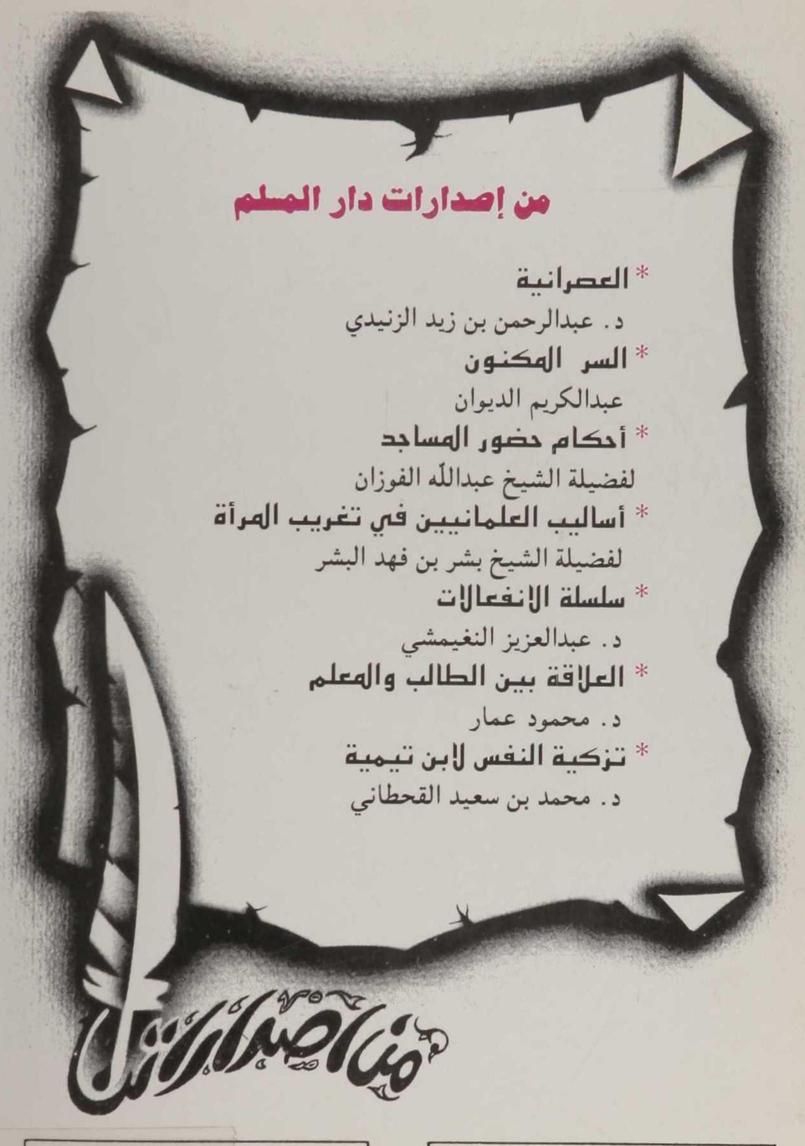
العدد الصادر بتاريخ ١٥/ ١١/ ١٤١١هـ .

العدد الصادر بتاريخ ١١/ ٧ / ١٤١٢هـ.

العدد الصادر بتاريخ ٢٤/ ٣/ ١٤١٢ هـ.

العدد الصادر بتاريخ ٢٣/ ٤ / ١٤١٢هـ .

الفهـــــرس



من إصدارات دار المسلم

* العصرانية
  د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي
* السر المكنون
  عبدالكريم الديوان
* أحكام حضور المساجد
  لفضيلة الشيخ عبدالله الفوزان
* أساليب العلمانيين في تغريب المرأة
  لفضيلة الشيخ بشر بن فهد البشر
* سلسلة الانفعالات
  د. عبدالعزيز النغيمشي
* العلاقة بين الطالب والمعلم
  د. محمود عمار
* تزكية النفس لابن تيمية
  د. محمد بن سعيد القحطاني

ردمك ٩٩٦٠-٧٤٨-٤١-٣

مطابع الابتكار - تلفون : ٨٥٧٢٤٠٤/٨٥٧٢٢٠٤ - الدمام